الوارث ٨٩
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
ذوالحجة ١٤٣٧-ايلول ٢٠١٦

إقرأ في هذا العدد

- الغدير ومسؤولية الخلافة.
- الإمام علي عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم.
- إنّه ثقتي من أهل بيتي.
- السفير والسفارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشراف العام/رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

ضياء قاسم

التصميم والاخراج الفني

السيد علي ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

الغدير

٤-الشعائر الحسينية الصراع الولائي العقائدي

٧- مواقف الأبطال

١٠-الغدير ومسؤولية الخلافة

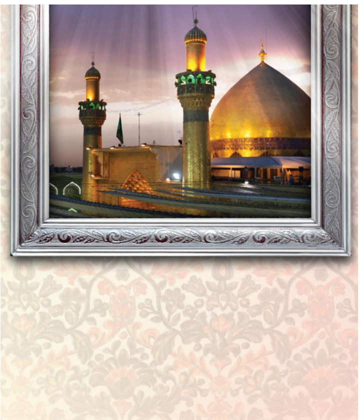

٢٠-الحياة مع الإمام علي عليه السلام

١٢- البعد العقائدي لحادثة الغدير

٢٢-الإمام علي عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم

٣٨-على أبواب الآخرة

٤٦-صاحب الدين الحنيف

٥٠- مناجاة التائبين

كلمة العدد

انتصرت الراية

وردت الكثير من الاحاديث في كتب الفريقين تحدثت عن الراية في خيبر، وأشارت الأحاديث الى أن الراية لم تنتصر إلاّ بعد أن استلمها أمير المؤمنين عليه السلام ولا باس بذكر أحد هذه الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري وهو كما يأتي:

حدثني قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد القاري عن أبي حازم قال أخبرني سهل عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، قال : فبات الناس يدركون أيهم يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ، فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا إليه ، فأتى فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم. (صحيح البخاري: ٤ / ٢٠).

ولكي نبين علة انتصار الراية بيد علي بن أبي طالب عليه السلام نقف على دلالة الحديث:

١ - يدل الحديث على أن الراية لم تنتصر قبل أن يعطيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام.

٢ - يدل الحديث على أن حب الله ورسوله لعلي عليه السلام عامل مساعد في انتصاره على أعداء الله ورسوله.

٣- اخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفتح على يد علي عليه السلام يستند إلى علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصدق جهاد علي عليه السلام.

٤ - هذه المنقبة (قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحبه الله ورسوله) لا يمكن أن يحصل عليها رجل سيؤول أمره إلى الباطل، فلو لا معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي عليه السلام لما قال في حقه هذا القول ولما أسند إليه هذه الراية.

المشرف العام

الشعائر الحسينية
الصراع الولائي العقائدي

عندما نتحدث عن الشعائر يسير الذهن إلى الشعائر المتمثلة في مجال النياحة والعزاء، والهيئات والمواكب الحسينية أو (المسيرات الشعبية)، وزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء، أو عن بُعد، كما هو مألوف في أوساط المؤمنين في قراءة (زيارة عاشوراء) مثلاً أو (زيارة وارث) عن بُعد، وقرض الشعر في رثاء الحسين عليه السلام وأنصاره؛ وما يشبه ذلك مما هو مألوف ومتعارف في أوساط المؤمنين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فأوّل ما يجب أن نعرفه في هذا السياق هو الدلالات التي تحملها هذه الشعائر التي ورد التأكيد عليها كثيراً في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي يتعاطاها المؤمنون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذه الشعائر التي تتجدد كل سنة، تحمل دلالات سياسية وثقافية واضحة، ولا نحتاج إلى توقف كثير لنكتشف الدلالات التي تختزنها مجالس النياحة، والعزاء، ومسيرات التعاطف، والتفاعل، والتضامن مع القضية الحسينية في عاشوراء.

إنّ هذه المسيرات والتجمّعات تحمل معنى (الشعار)، ومعنى الشعائر: الإعلام، والإعلان، والإشهار... هذا أولاً، وهذا الإعلام والإعلان ينصب على (الموقف) و(الانتماء).

إنّ هذه الشعائر إعلان للموقف السياسي والثقافي، وإعلان للانتماء، والهوية الحضارية والثقافية والسياسية للناس... وهذه هي النقطة الثانية.

ولماذا هذا الإصرار على إعلان (الموقف) والانتماء؟

هذا هو السؤال الذي تثيره هذه الشعائر ويتطلب الجواب الصحيح.

إنّ الإصرار على إعلان (الموقف) و(الانتماء) بهذه الصورة من المتابعة، والتأكيد، والتحديد، لا يكون إلاّ في ظروف صراعات حضارية صعبة، لابدّ أن يتميّز فيها كل من المعسكرين المتصارعين.. عندئذ لابدّ للأطراف المتقابلة في هذا الصراع أن تكشف عن هويتها، وتعلن عن انتمائها السياسي والحضاري.. وإلاّ فسوف يمحق في هذه المعركة، ويكتسحه الطرف الآخر.

إنّ الصراع اصطفاف لمعسكرين متقابلين.. وكل عنصر يدخل في هذا الصراع لابدّ أن يحدّد موقعه وصفّه من هذه المعركة، وفي غير هذه الصورة يكتسحه ويجرفه الطرف الآخر، ولكي لا ينجرف في ساحة الصراع

إلى طرف العدو، لابدّ أن يحدّد موقعه من المعركة، ويصطفّ إلى جانب المعسكر الذي ينتمي إليه، ويعلن عن انتمائه وموقعه وموقفه في تلك المعركة.. وهذه قضية معروفة واضحة في المعارك العسكرية: (الاصطفاف)، (الانتماء)، ولا يختلف الأمر في الصراعات الحضارية والسياسية والثقافية عن المعارك العسكرية، ففي كلّ منهما لابد من تحديد الانتماء، والموقف، والمواقع من المعركة، وإعلان الانتماء وإشهار الموقف.

ونحن نعيش على وجه الأرض في ساحة صراع سياسي وحضاري وثقافي.. ويجب ألاّ تخدعنا حالة السلام العسكري أو الهدنة العسكرية عما تختزنه الساحة السياسية والحضارية من صراع ومواجهة.. وإذا كانت المعارك العسكرية تقبل الحلول النصفية والترقيعية؛ لأنّها حالة الحرب، فلا تقبل الصراعات السياسية الحلول النصفية.

وليس معنى هذا الكلام أنّنا ننفي أو نرفض (حوار الحضارات)، فإنّ الإسلام لا ينغلق على هذا المشروع الحضاري في بعض الحدود المعقولة، ولكننا بصدد بيان الواقع الحضاري في حياة الناس، بعيداً عن الشعارات، وما يختزنه الواقع من صراع قاس شديد، ينتقل من جيل إلى جيل، حتى يرث الصالحون بإذن الله تعالى الأرض وما عليها، وتنتقل السيادة على وجه الأرض إلى الصالحين من عباد الله ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾.(الأنبياء:١٠٥)

إنّ الصراع القائم بين موسى على نبينا وآله وعليه السلام وفرعون، وبين عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وقومه، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعتاة قريش.. لم ينقطع بعد موسى وعيسى ابن مريم على نبينا وآله وعليهم السلام، وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والقتال في (صفين) امتداد للقتال في بدر.

وعلي عليه السلام وعمار رضوان الله تعالى عليه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقفوا في صفين على مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في (بدر)، ومعاوية وعمرو بن العاص وقفوا في صفين على مواقف أبي سفيان وأبي جهل في بدر.

ومعركة الطف امتداد لمعركة (صفين) ومعركة (بدر).

ولم ينقطع هذا الصراع في تاريخنا، وإن اختفى الوجه العسكري لهذا الصراع.

إنّ هذا الصراع يمتد من جيل إلى جيل، ومن أرض إلى أرض.

فما دام يحكم حاكم على وجه الأرض بغير حكم الله.

وما دامت حدود الله معطلة.

وما دامت الفرائض الإلهية لا تقام على وجه الأرض.

وما دام السلطان والقوة لغير دين الله.

وما دام الشرك يلوّث وجه الأرض.

وما دام الظلم يحكم عباد الله.

وما دام الاستكبار والاستضعاف يشطر الناس إلى شطرين.

وما دام الطاغوت يصدّ الناس عن دين الله، ويحمل الفساد والظلم إلى الناس.

وما دام للظلم والشرك سلطان على وجه الأرض فالصراع باق لا محالة، ولم يكن خروج الحسين عليه السلام على حكومة بني أمية إلاّ تجسيداً لهذا الصراع، وتأكيداً وتعميقاً له.

ولم يكن للحسين عليه السلام دعوة ولا غاية في هذا الخروج إلاّ الأمر بالمعروف الذي جاء به جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وشرّعه ومنهج أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام والنهي عن المنكر الذي أسّسه بنو أمية وأتباعهم من يوم سقيفة بني ساعدة.

ونحن اليوم في ساحة الصراع نقف عند مواقف إبراهيم الخليل، وموسى الكليم وعيسى روح الله على نبيّنا وآله وعليهم السلام، ومواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى مواقف أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومواقف الحسن والحسين عليهما السلام؛ والطغاة، والجبابرة، وأئمة الضلال والكفر وأذنابهم، يقفون على مواقف نمرود وفرعون وأبي جهل وأبي سفيان وآل أبي سفيان وبني أمية، وآل مروان وآل أمية.

وفي هذا الاصطفاف الحضاري والسياسي لابدّ من إعلان (الموقف) وإشهار (الانتماء).

وهذا هو معنى الشعار والشعائر.

والشعائر الحسينية تقع في هذا السياق.

إذن لكي نفهم قيمة الشعائر الحسينية ودورها في حياتنا الحضارية، والسياسية، والثقافية، وضرورتها، وأهميتها التاريخية لابدّ أن نتوقف عند المفاهيم الثلاثة التالية التي تحدثنا عنها هذه المقدمة وهي:

(الشعار) و(الانتماء) و(الصراع)

الحاجة إلى الشعار والإشعار تبرز في ساحات الصراع العقائدي والعسكري غالباً.

فإنّ الشعار: إشعار بالانتماء؛ والمقصود من الانتماء كلمة (الولاء) في المصطلحات الإسلامية.

والشعار إشعار بالولاء، وليس هو الولاء.

وتتأكد الحاجة إليه في ساحات الصراع، لأنّ الإنسان يحتاج إلى أن يذكّر نفسه بولائه وانتمائه في ساحات الصراع، ويختلف المنتمي عن اللامنتمي كثيراً في الثبات على الموقف.. ولذلك يحتاج المقاتل أن يشعر نفسه ويذكّرها بولائه بصورة مستمرة، ليثبّت أقدامه على أرض المعركة.

وكان المقاتلون يحتاجون في ساحات القتال والمعارك العسكرية إلى الشعار حتى يعرف به عدوه عن صديقه.

فقد كانت صفوف المقاتلين تتشابك في القتال عندما كان القتال يجري بالسلاح الأبيض، فلكي يميّز المقاتلون خصومهم عن أصدقائهم، ومن يقاتلونه عمّن يقاتلون معه، كان يتّخذ كل معسرك لنفسه شعاراً واحداً ليتمايزوا به عندما تشتبك صفوف المقاتلين.

وهذه الشعارات كانت تعبّر غالباً عن انتماء كل منهما العقائدي والقومي والوطني والديني، حسب نوع المعركة.

وهكذا شاعت ظاهرة الشعارات في الحروب، هذا عن (الشعارات) في ساحة المعركة.

وأمّا (الشعائر) التي يتخذها الناس في سلوكهم الاجتماعي الديني والحضاري فهي أيضاً نوع من التعريف بانتمائهم الديني والثقافي والحضاري في ساحة الحياة، وساحة الحياة ساحة صراع دائماً، وهذا الصراع هو صراع الولاءات، وما يحتاج المقاتل في ساحات القتال يحتاجه في ساحات الصراع الحضارية أيضاً من الإعلان عن انتمائه وولائه، تثبيتاً لمواقفه في هذه الساحة، وتعريفاً بانتمائه وولائه.

فالحديث عن (الشعائر الحسينية) يختص ساحات الصراع العقائدي والثقافي وهي ساحات لصراع الولاءات، وهو من أضرى أنواع الصراع في حياة الإنسان.

وهذا الصراع قائم بين أنصار الحسين عليه السلام على امتداد التاريخ وخصومه.

ولم تنقطع المقابلة والمواجهة بين جبهة الأنصار والخصوم منذ يوم عاشوراء من سنة ٦١هـ، إلى اليوم البتة، وسوف يمتدّ ويستمر هذا الصراع، حتى يظهر من يثأر لخط الحسين عليه السلام ودعوته، آخر الزمان، وهو المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من أحفاد الحسين عليه السلام.

وأما الشعارات الحسينية فهي التي كان الحسين عليه السلام وأنصاره يرفعونها في ساحة القتال للتعريف بأنفسهم ودعوتهم وانتمائهم وولائهم.

وعلى كل حال، فإنّ (الشعائر) و(الشعارات) من باب واحد، تخصّ ساحات الصراع والمواجهة، للتعريف بانتماء الإنسان وولائه في ساحة الصراع.

محمد مهدي الآصفي

مواقف الأبطال

المواقف والقيم

إنّها مسيرة البشرية نحو العدالة والمساواة ونبذ الظلم والظالمين بكل طرقه وأساليبه.

وفي طيّات تلك المسيرة ترتسم وتتحرك القيم والمواقف المبدئية التي هي أساساً ربانية الوجود وإنسانية الخلود.

قيم ومواقف مبدئية للبشرية بمختلف تجمعاتها وأديانها الإسلامية والمسيحية واليهودية والهندوسية والعلمانية فجميعهم يقدسونها ويؤمنون بها.

مسيرة نهضة أمة

اقترب من أخيه الإمام.. وحدق في قسمات وجهه.. وكأنّه يودعها للفراق الأبدي.. فهو يعلم أنّه الفراق الذي ليس بعده لقاء في الأرض.. بل اللقاء القادم سيكون فقط في السماء!!

فسأله عن سبب خروجه من مدينة جدّه!!

فجاءه الردّ الواثق والراضي عن مشيئة الله تعالى: «شاء الله أن يراني قتيلاً...».

فأعاد سؤاله عن سبب أخذه للنساء والعيال.. فجاءه ثانية الرد الثابت المؤمن بإرادة الباري عزّ وجل: «شاء الله أن يراهن سبايا..»!!

فبدأت المسيرة.. مسيرةٌ نحو إعادة صناعة أمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بسكب دمه الطاهر!!

دمٌ لا يضاهيه أي دم آخر في طهره وقدسيته.. أو أي شيءٍ آخر في الوجود..!!

مسيرة تُعيد صياغة القيم والمواقف لكافة الأجيال القادمة.. حتى يحين فيض حفيده المخلص الأعظم بالخروج المقدس.

فكانت روائع المواقف والقيم ترسم للمستضعفين طريق الحرية الإلهية المقدس.

إيثار للنفس

بدى لهم أنه يريد أن يشرب الماء وهو الظمآن والمتفرد بالشريعة.. فأبى

أن يرتوي قبل إمامه!!!

فسبقته سهام المنية قبل أن يرتوي.

وفاء للعهد

لم يغيّر المسير نحو قبيلة مناصرة بعد أن تم منعه من التوجه للكوفة.

فيغنم بتغيير الطريق وإلغائه لعهده للجيش المعتدي ألفي فارس من سيوف لا يُرجعها أصحابها لغمدها إلاّ بعد غرسها في أبدان الأعداء.

ورغم قلة الرجال والأنصار في جيشه القليل العدة والعدد.. لكنه للعهد والوفاء هو (العنوان).

حتى لو كان عهداً قطعه للأعداء..!!

المساواة

وضع خدّه على خدّ عبدٍ صحبه للعافية. عبد قدّم روحه شهيداً بين يدي إمامه وسيّده.

عبد كل ذنبه أنه أحسن عبودية الله ربه فأطاعه في عشق محبوبه.. وعشق حفيد محبوبه.. بعشق أبدي لحبيب الرب.

فلامس خدّ الإمام الشريف خدّ العاشق له.

مثلما لامس خدّ الإمام خدّ ابنه الأكبر وهو أشبه الناس خلقاً ومنطقاً برسول الله، وكأن لسان حاله يصدع للبشرية (لا فرق بين رابطة الدم والعقيدة إذا تسامى الهدف)!!

صيانة للعفاف والحشمة

قال الشهيد: «اقصدوني بنفسي.. فليس على النساء من جناح».

وهو مثخن بالجراح وبضعيف صوته يرفض أن يتخلى عن مسؤوليته في حفظ النساء والعفاف واعتزازاً وتثبيتاً للخدر وللحجاب.

وفي موقف آخر أسرع الإمام مهرولاً باتجاه أخته بعد أن أنزل ابن أخيه من على كتفه.. ليُرجع العقيلة إلى الخيام.

قربان للصلاة

قال: «.. ذلك هو أول وقتها».

إنها الصلاة.. فمثلها قاتل أبوه أمير المؤمنين على قيامها بمبادئها فقال قولته الشهيرة: «على مَ مقاتلهم»؟؟

وكرر ابنه الشهيد: «اسألوهم أن يكفوا عن القتال فقد حان أول وقتها».

وحتى في صلاته قدّم القربان.. أوفيت يا بن رسول الله؟؟ فأجابه: «بلى.. وأنت أمامي في الجنة».

أداء الأمانة وإرجاعها لأهلها

فوقف يحدّث أحدهم وهو محاط بالجنود من حوله: «إنّ لعليه ديناً في عنقي»، فخذ درعي وسيفي وبعهما واقضِ عني ديني.. لقد أوصى قبل أن يلقى حتفه من سطح قصر العمارة بإرجاع حقوق الناس إليهم.. إنها سجية أداء الأمانات وإرجاعها لأصحابها!!

استبصار الحق وأهله

قال: «والله لو أقتل وأحرق سبعين مرة ما تخليت عنك سيدي».

إنّ الإمام عليه السلام له روعة الرؤية والاستبصار للحق والتمسك بأهل الحق.. والتضحية بالنفس من دونهم.

فبرزوا ماجداً تلو ماجد ليستأنسوا بالشهادة كاستئناس الرضيع بدفء صدر أمه..!!

فضح للوشحية

قال: «خذوه واسقوه بأنفسكم إن خشيتم أن أشرب من فضالة مائه!!».

فسبقه سهم المنية وسقاه من حرارة الردى.

ففضحهم وفضح أهدافهم.. فضحى برضيعه ليرسم لنا لوحة تكشف ظلامة ووحشية الذئاب البشرية التي ما زالت منتشرة اليوم تشرب دماء الأبرياء.. تصطادها بالمفخخات وتقطّع الرؤوس وتأكل الأكباد.

فها هو عراق الإمامة.. وسوريا الكرامة.. ويمن الأصالة.. ولبنان المقاومة تهشّم أجسادهم وحشية لا تفرّق بين الأطفال والنساء والعجزة والأبرياء.. فتملأ الأرض من دمائهم البريئة!!

صمود وشموخ وتحد وإباء

رغم قسوة ظروف.. تقدمت بثبات محمدي، وبأس علوي.. وبلاغة فاطمية.. وكرم حسني.. وشجاعة حسينية.. لترفع الجسد المقدس وتخاطب ربها بكل اطمئنان ورضا وتتحدى جيش الأعداء (ربنا تقبل منا هذا القربان).

وبعد ذلك بأيام تهز كيان الطاغوت في ملكه وتتحداه في عرضه.. «وما أيامكم إلا عدد.. وما جمعك إلاّ بدد.. يوم ينادي المنادي ألا

لعنة الله على القوم الظالمين».

فكانت العقيلة رمزاً للصلابة كأنّها تتحدى قهر الظروف المادية بصبرٍ قلّ نظيره في هذا الزمن الذي لا مثيل له..!!

فكانت نموذجاً فريداً للتضحية ورفض الاستبداد لم تعرفها الأمة من قبل.

وتتواصل المسيرة منذ بدئها بالروح والزخم نفسه وبالمواقف والقيم نفسها.

حتى يومنا هذا.. وإلى غدنا القادم.. مسيرة نهضة الإصلاح.. إصلاح محمدي.. علوي.. فاطمي.. حسني.. حسيني.. سجادي.. عباسي.. زينبي.

حتى المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وشرفنا الله بدولته العادلة.

الشعار العملي

قال: «ما خرجت أشراً.. ولا بطراً.. إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.. آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».. ليروي من دمائه الزكية الطاهرة شجرة الشهادة الخالدة..

فقال: «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله».

لتوفّر تلك الشهادات المقدسة بأشكالها المتنوعة طريقاً للأمة الإسلامية ونماذج جديدة فريدة في الفداء والتضحية.

روح جديدة أرادها الله سبحانه ورسوله أن تتجسد في سبط رسوله لتسلكها البشرية من بعده حين تذوق ظلم الظالمين المتسلطين على رقابهم والعاملين فيهم بالقهر والاستعباد.. فيسلكون طريق أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام.

لقد ورث الحسين عليه السلام هذا الطريق من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: «يا عم لو وضعوا الشمس بيميني والقمر بشمالي على أن أترك هذا الدين أو أقتل دونه ما تركته»، ومن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام حين تعجب من انتشار الظلم قائلاً: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه أن لا يخرج للناس شاهراً سيفه».

وتمضي الأيام وجمعنا ينتظر اليوم الموعود والخلاص المنشود.. بظهورك سيدي.. لتقيم العدل والمساواة والحق.. رسالة حملها قبلُ أجدادك.. فكمّلها أنت بروحك المقدسة.

فيا أيها الإمام المنتظر عجل الله فرجك الشريف).. ذاك جدّك الإمام الحسين عليه السلام.. قد بدأ مسيرة استنهاض الأمة.. فزرع لها طوال طريق رحلته القيم والمبادئ والمواقف النبيلة.. وهي لن تكتمل بدوريها سيدي إلّا بخروجك المقدس.. لتكمّل وحدك المسير والرسالة.. وتقيم دولة العدل والرحمة.

فسلام على الحسين.. وجميع من كان في رحل الحسين.. وطابت الأرض بدمائك الزكية.. سلام المؤمل به لمتابعة المسير.. وتشوقت البشرية والأرض لمخرجه المأمول.. سلام العاشقين لكم سيداي.

علي حبيب نجم

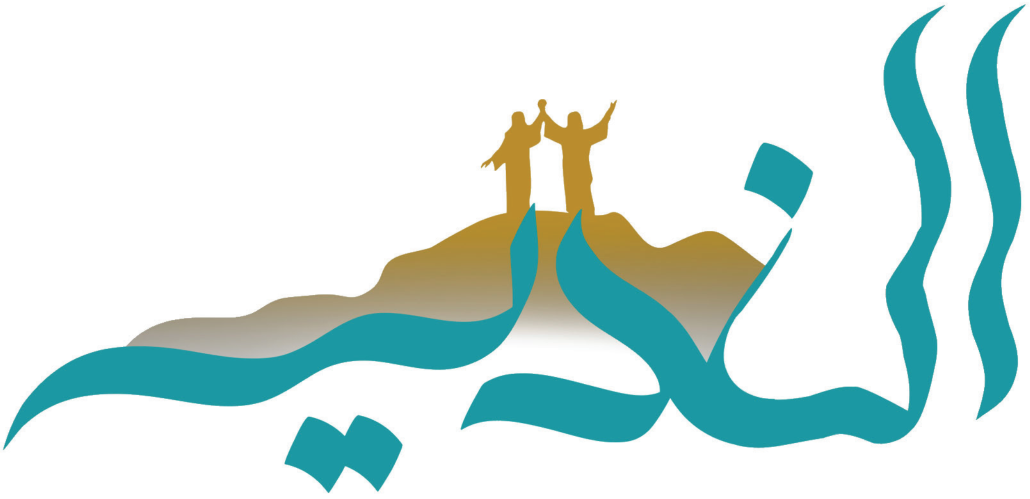

الغدير ومسؤولية الخلافة

إنّ من أهم الأبعاد التي أسس لها يوم الغدير الأغر هو بعد القيادة والرئاسة لهذه الأمة، وتوضيح معنى الإمامة ببعديها: النظري والعملي.

والجدير بالذكر أنّ مسألة الإمامة كانت تشكل مساحة واسعة في أذهان المسلمين آنذاك، ووجود العديد من التساؤلات عن المنصب والحاكم للأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنّ الاحتفاء بالغدير يمثل استذكار منظومة القيم السامية والمبادئ الإنسانية التي يختزلها الغدير، كما يتضمن استنهاض الهمم واستثارة العزم للعمل الجاد بسيرة صاحبَي الغدير عليهما السلام.

حيث تمسّ الحاجة جداً إلى التعرف الواعي على مبادئ الغدير وما تعنيه ذكراه من لزوم تأصيل نهج صاحبَي الغدير وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وترسيخ مقاييسهما في التعاطي مع الإنسان والمنصب، والالتزام بما التزما به إزاء ذلك كله، والحرص المؤكد على عدم جعل المنصب وسيلة لنيل مكاسب مؤقتة أو تحقيق طموحات زائلة.

وعليه فلابد من الاهتمام بنشر تلك القيم وتوعية المجتمع على ما تعنيه تلكم المبادئ من بشائر الخير، والحث على التمسك بها، وجعلها ظاهرة عامة يتثقف عليها الجميع، ويعملوا على تفعيلها، وإعطائها المساحة المناسبة من التعريف والتطبيق، في الميادين والقطاعات المختلفة؛ لأنّها تغني ولا تلغي، وتنفع ولا تقطع.

إنّ الحديث عن الغدير، متعدد المحاور بتعدد دلالات الكلمة وما ترمز إليه؛ إذ لم يعد مقتصراً في أنه مجرد حديث تاريخي في موقع جغرافي خاص، ومقطع زماني معيّن؛ حيث جرى في العام العاشر الهجري، بعد رجوع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع ووصوله إلى (... وادٍ يقال له وادي خم).(مسند أحمد:٤/٣٧٢)

يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام من العام العاشر للهجرة، (في يوم شديد الحرّ، وإنّ منّا لَمَنْ يَضعُ رداءه على رأسه وبعضه على قديمه من شدّة الرّمضاء).(مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي:٣٤، برقم٢٣)

في مفترق الطرق المؤدّية إلى المدينة المنورة، والعراق، والشام، ومصر؛ ولشدة اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بالحدث أمَرَ بـ(ردّ مَنْ مضى ولحقه مَنْ تَخلّف). (السنن الكبرى للنسائي:٥/١٣٥)

و(نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهن فقَمَّ ما تحتهن من

الشوك).(المعجم الكبير للطبراني:٣/١٨٠)

(ورُشَّ)(مجمع الزائد للهيثمي:٩/١٠٥)، ثم (ظُلل لرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم بثوب على شجرة سمرة من الشمس).(مسند أحمد:٤/٣٧٢)

وصعد صلى الله عليه وآله وسلم (على أقتاب الإبل). (ثمار القلوب للثعالبي:٦٣٦)

و(أخذ بيد علي بن أبي طالب، فرفعها حتى رأى الناسُ بياضَ إبطيهما).(شواهد التنزيل للحسكاني:١/٢٥٨، برقم٢٥٠)

ليراهما (تسعون ألفاً، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك).(الغدير للأميني:١/٩)

فمن سمعه منهم علم، ومن لم يسمعه فستثير لديه ملامح المشهد، علامات الاستفهام، فيسأل ليعلم، وبهذا فقد استعان صلى الله عليه وآله وسلم بالصورة لتأكيد الصوت، مستعيضاً بها لتبليغ قوله: «يا أيها الناس، ألست أولى بالمؤمنين؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال له عمر: بخ بخ يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣).(أمالي الصدوق:٥٠)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي قَدْ دُعِيتُ وَيُوشِكُ أَنْ أُجِيبَ وَقَدْ حَانَ مِنِّي خُفُوفٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَإِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُم مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَداً كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؟»، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَى؛ فَقَالَ لَهُمْ عَلَى النَّسَقِ وَقَدْ أَخَذَ بِضَبْعَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرَفَعَهُمَا حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِمَا وَقَالَ: «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ».(إرشاد المفيد:١/١٧٦)

أو ما رواه البراء بن عازب قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسح لرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي - عليه السلام - فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة).(مسند أحمد:٤/٢٨١)

وقال روى بريدة: (خرجت مع علي إلى اليمن، فرأيت منه جفوة، فقدمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت علياً فتنقصته فجعل رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يتغير وجهه، قال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟، قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه»).(فضائل الصحابة للنسائي:١٥)

وقد روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: «إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي».(فضائل الصحابة:١٦)

وقد اتفق كلا الفريقين على تنصيبه صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام ولياً على المسلمين كافة؛ حسبما فهمه الصحابة؛ فقيل له: بخ بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم؛ أو: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، فضلاً عن دلالة: ألست أولى بكم من كم بأنفسكم؟، أو: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ حيث دل السؤال بأسلوب تقرير الحال، على بالغ الاهتمام، بل كشف تكرار السؤال والتقرير عن إرادة جادة في معرفة ما انطوت عليه الضمائر، مع الحرص الأكيد على الإفصاح عما يختلج في الصدور؛ لكون الموقف حاسماً؛ فهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

البعد العقائدي لحادثة الغدير

تطور مفهوم الغدير إلى كونه دالة فكرية ذات بعد عقادي ملزم لما يمثله الالتزام بذلك والتصديق له والاستجابة لندائه واضح في آيات عديدة وردت في القرآن الكريم.

١. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. (الأنفال:٢٤)

٢. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. (النساء:٥٩)

٣. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (هود:١١٢)

وذلك تجسداً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان». (أمالي الطوسي:٤٤٨، برقم ١٠٠٢/٨)

إذ ما عداه لقلقة لسان لا تكشف عن صحيح إيمان، وبهذا فقد ارتبط الغدير بالنبوة والإمامة وثيقاً حتى تم فيه إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب تعالى بالإسلام ديناً؛ كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾. (المائدة:٣)

فالغدير ملتقى جهود وجهاد النبوة والإمامة، ومظهر

الصلة بين المرحلتين؛ كما يدل عليه قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً الأمة كلها، الحاضر آنذاك والآتية: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».(سنن الترمذي:٥/٢٩٧)

فحصر مولوية المؤمنين بعلي عليه السلام، كما انحصرت قبله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك لدلالة التقرير والسؤال والجواب، كما التعليق بأداة الشرط، والتعقيب الفاء، على الحصر والقصر، وهو ما فهمه الصحابة، الذين انسجمت ردود أفعالهم مع كون الغدير تنصيباً وبداية لمرحلة جديدة.

فكان الصفق بالبيعة، وكان قول: (هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة).(مسند أحمد:٤/٢٨١)

وهي شهادة توثيقية لفهم الصحابة التنصيب والاستخلاف والتعيين الحاسم، وعدم تركه صلى الله عليه وآله وسلم الأمة سدى.

ولم يكن الغدير أول موقف للتنصيب، بل كان مسبوقاً بغيره من أحاديث الإنذار الذي جاء بدعوة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعدما أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.(الشعراء:٢١٤)

قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين... فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن، ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به... قال علي عليه السلام: دعوت بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله...، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؛ قال علي: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. (البداية والنهاية لابن كثير:٣/٥٣)

وقد ورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض الروايات في حقّ علي بن أبي طالب عليه السلام تنصّ على أنّه عليه السلام الولي والإمام للمؤمنين وهي حديث المنزلة والثقلين. وغيرها من بيانات نبوية صادرة في مناسبات زمانية ومواضع مكانية مختلفة، ولكن الغدير هو الفاتح لما استقبل، والخاتم لما سبق من تحضير وإعداد على مدى ربع قرن تقريباً، الأمر الذي أهّله لأدائه دوراً رابطاً بين الخالق تعالى والمخلوقين، وانشدادهم لطاعته سبحانه، وطاعة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفانهم بحقيقة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.(التوبة:١٢)

فقد تجلى حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين ورأفته ورحمته بهم، بدلالتهم طريق النجاة، وإعطائهم طوق الأمان؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».(المستدرك للحاكم:٣/١٤٩)

مجسداً بذلك الأمور التالية:

أولاً: محورية الإمامة، وأنها مؤصلة نبوياً، بل مستندة في مبدئها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾. (المائدة:٦٧)

وقد «...بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَا أُرْسِلَ بِهِ وَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ وَأَدَّى مَا حُمِّلَ مِنْ أَثْقَالِ النُّبُوَّةِ وَصَبَرَ لِرَبِّهِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَحَثَّهُمْ عَلَى الذِّكْرِ وَدَلَّهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى بِمَنَاهِجَ وَدَوَاعٍ أَسَّسَ لِلْعِبَادِ أَسَاسَهَا وَمَنَارٍ رَفَعَ لَهُمْ أَعْلامَهَا كَيْلا يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ وَكَانَ بِهِمْ رَءُوفاً رَحِيماً». (الكافي للكليني:١/٤٤٥، ح١٧)

ثانياً: أنها ضرورة حياتية على مستوى النظرية، توقف عليها ديمومة المشروع الإلهي واستمرارية بقائه وفاعليته؛ لأنّها ضمانة التواصل بين جهود الأنبياء والأوصياء؛ وإلا لانقطعت الصلة بينهما، ولأضحت تعليمات مجردة، بل لتحولت تضحياتهم إلى روايات تاريخية، يعروها التصديق والرد، مع أنها تمثل جهوداً وجهاداً، عبر قرون متتالية، وفي مواقع جغرافية متعددة.

ثالثاً: بل إنّها برنامج تنموي على مستوى التطبيق قادر على الاستقطاب، متغلب على عوامل التقادم الزماني والتبدل المكاني؛ بما يحقق النجاح للإنسان ويوسع من قاعدة خياراته الحياتية، ويحفزه نحو الإنتاج والتواصل مع الآخر، بما يوجد مناخاً صالحاً للإبداع والتصحيح؛ لما يمثله الغدير من أطروحة جادة لبناء الإنسان جذرياً، وتقويمه بما يعزز لديه مفاهيم الطاعة والالتزام والتضامن والتآزر والمشاركة الجادة والواسعة في تنمية المجتمع وتطويره، فيتنامى مجتمعياً الشعور بالمسؤولية، ويكون همّ التصحيح مشتركاً بين الجميع، فلا يتوانى عنه أحد.

ولذلك قد حشد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عوامل عدة للتعبير عن أهمية الغدير وفاعليته التصحيحية، فاستعان بالزمان والمكان والإنسان وسائر المؤثرات المعبّرة الأخرى كالصورة والصوت وطريقة الاعداد للتجمع الجماهيري، وأشرف على تحضير ذلك بنفسه، لتبرز جميعاً دور الغدير فكرياً وتنموياً، ولئلا يفسّر بكونه بيعة لابن عمه، وكأنه موضوع أسري خاص، بينما هو اهتمام بتكميل الدين وإنجاز ما عليه صلى الله عليه وآله وسلم مما حمّله به ربه تعالى.

فكانت ثلاثية الغدير: المُنَصِّب والمُنَصَّب المنصب؛ فالأول هو: الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ والثاني: هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ والثالث هو: مقام الإمامة، بما يمثله من قيادة الأمة واستصلاح حالها وترشيد فكرها وفعلها.

لأنّ (الإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الإِمَامَةَ خِلافَةُ اللهِ وَخِلافَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام، إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي؛ بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالأَطْرَافِ؛ الإِمَامُ يُحِلُّ حَلالَ اللهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ». (الكافي:١/١٩٨، ح١)

والإمامة منصب خاص خطير لا ينهض بمسؤوليته إلا من عصمه الله تعالى، وهم معدودون؛ فعلى غيرهم التأسي بسُنّة المعصوم عليه السلام وسيرته في بث قيم العدل والاعتدال وإحقاق الحق ونصرة المظلوم، والإنصاف والنزاهة واحترام روابط المواطنة والإنسانية.

وذلك كي يستشعر صاحب المنصب أنه مسؤولية لا امتياز فيه سوى أنه محل القيادة، بما تعنيه من لزوم المبادرة والمسارعة في النهوض بالأمر على أتم وجه ممكن، ومناهضة جميع معوقات الإصلاح، والعمل الجاد في تأصيل ثقافة التغيير التضامنية.

انطلاقاً من قوله: (كلكم راع وكلكم مسؤول؛ فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة...، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول). (مسند أحمد:٢/٥)

محمد علي النيسابوري

الشفاعة

لا شكّ أنّ الشفاعة حقيقة إسلامية ناصعة لا يسع مسلماً إنكارها.

فقد نطقت بها نصوص القرآن الكريم، وتواترت في السنة النبوية المطهرة، وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

واتفقت كلمة علماء المسلمين على أنها من الأصول الأساسية في العقيدة الإسلامية، وإن اختلفوا في تفاصيلها.

قال النووي: (قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة). (شرح صحيح مسل:٢/٥٨)

وقال الرازي: (أجمعت الأمة على أنّ لمحمد صلى الله عليه – وآله – وسلم شفاعة في الآخرة). (مفاتيح الغيب:٣/٥٢)

وقال محمد جواد البلاغي: (لو أعطي القرآن حقّه من التدبّر وسلمت النفوس من وباء الأهواء والتحزّب... لما ثار الهياج من بعض الناس على استشفاع المسلمين بالرسول والأئمة والأولياء. لأنهم عباد مكرمون، وأولى عباد الله بأن نعتقد إذنه جلّت آلاؤه لهم بالشفاعة إكراماً لهم لأجل الحكمة التي ذكرناها. وقد اكتفينا هاهنا بدلالة الكتاب المجيد عن الإشارة إلى ما تواتر معناه من أحاديث المسلمين في هذه الشؤون، وفي كتبهم في الحديث من ذلك شيء كثير والأمر فيه جليّ). (آلاء الرحمن في تفسير القرآن:١/١٣٦)

مع ذلك لم تسلم هذه الحقيقة الناصعة من محاولة إثارة الغبار حولها، والتشكيك فيها ككثير من مسائل العقيدة التي ظهر فيها الخلاف بعد حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بسبب عدم الرجوع في فهم الإسلام إلى أهل البيت عليهم السلام، الثقل الثاني الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم بعد القرآن الكريم وخالف من خالف حتى بلغ الحال ببعضهم إلى تكفير القائلين بالشفاعة والمؤمنين بالاستشفاع حتى بخير الشفعاء وصاحب المقام المحمود، الذي تضافرت الروايات وأجمعت أن المراد به هو مقام الشفاعة الكبرى.

وأثيرت حول الشفاعة إشكالات كثيرة، مثل: إن

الشفاعة تستلزم الظلم من الله سبحانه، أو إنها تدعو العبد إلى التجريّ وارتكاب ما نهى عنه تعالى، وتتنافى مع الدعوة للسعي والعمل، وقال بعضهم إن آيات الشفاعة من المتشابهات، أو إنه ليس في القرآن نصّ قطعي في وقوع الشفاعة، إلى غير ذلك من الشبهات.

فهناك إشكالات وشبهات قد أثيرت حول موضوع الشفاعة، وأجيب عنها في بحوث وكتب متعدّدة.

فقد وردت الشفاعة في كتاب الله بصيغ متعددة منها:

قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. (البقرة:٢٥٥)

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾. (الأنبياء:٢٨)

وقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾. (مريم:٨٧) مريم:٨٧.

وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾. (الأعراف:٥٣)

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾. (طه:٤٥)

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾. (الزمر:٤٥)

وهناك روايات متعددة في هذا الخصوص.

محمد باقر السيد

مقومات نجاح صاحب المنصب أو المسؤول عند علي عليه السلام

إنّ العالم اليوم بمدارات شعوبه المتعددة بحاجة ملحة إلى التعرف على معايير المنصب عند صاحب ذكرى الغدير عليه السلام، وما هي مقاييسه في التنصيب، وضوابطه لقيادة المراكز العليا المدنية والعسكرية، بمختلف مستوياتها.

حتى يحتفظ المنصب برمزيته للمسؤولية عن التقويم والتصحيح مهما أمكن، وأنه تكليف لا تشريف، بل هو مقياس الكفاءة والنزاهة والأمانة، أكثر من كونه امتيازاً في السلطة والمال.

لأنّ المنصب عند أمير المؤمنين عليه السلام أمانة، يُختبر بأدائها المنصِّب والمنصَّب، وهما مسؤولان عنها؛ قال عليه السلام لبعض كبار موظفيه: «أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي». (نهج البلاغة:٤١٢ برقم٤١)

وقال عليه السلام: «بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ... وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللّٰهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَالسَّلام». (نهج البلاغة: ٤١١، برقم ٤٠)

وقال عليه السلام أيضاً لبعض عمّاله: «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَك». (نهج البلاغة: ٣٦٦، برقم ٥)

ولم يكتف عليه السلام بتشخيص الخلل والتذكير بمسؤولية أمانة المنصب، بل عالجه وعرّف بطرق التصحيح وتلافي التقصير، حاثاً على تعميم ثقافة أمانة المنصب بين الموظفين، ذكراً ثواب الأمين.

فقال عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ، لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ... فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّة، وَوُكَلاءُ الأُمَّة، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّة، وَلاَ تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَته، وَلاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ... وَلاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلاَ الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلاَ الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلاَ دِينَ اللّٰهِ قُوَّةً...». (بحار الأنوار:٤٧٢/٣٣)

موجهاً بهذا إلى ضرورة تقديم الخدمات، وتلبية الطلبات المشروعة، وعدم قمع أحد من المطالبين بتحسين وضعه، ومؤكداً على ضرورة تقييم الأداء الحكومي دائماً، بما ينعكس إيجاباً على الاهتمام بالشعب وحماته من أصناف الجيش والقوى الأمنية الأخرى.

وقال عليه السلام: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّة وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْق... فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللّٰهُ مِنْ عَفْوِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللّٰهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ بِمَا عَرَّفَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَبَصَّرَكَ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله عَلَيْكَ بِمَا كَتَبْنَا لَكَ فِي عَهْدِنَا هَذَا لاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللّٰهِ فَإِنَّهُ

لاَ يَـدَ لَـكَ بِنِقْمَتِهِ وَلاَ غِنَى بِـكَ عَنْ عَفْـوِهِ وَرَحْمَتِهِ...». (نهج البلاغـة:٤٢٧، برقم٥٣)

مبيّنـاً ضـرورة الاهتمـام بكافـة المواطنين ولـو كانوا من الأقليات، ولـزوم العدل بينهـم، وأنْ يتـم التعامـل على أنّ الجميع شـركاء في البلد والمصير، فلابـد من محبة الجميع ومودّتهم.

وقـال عليـه السـلام: «وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَـى عَفْـوٍ وَلاَ تَبْجَحَنَ بِعُقُوبَةٍ وَلاَ تُسْـرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ [عَنْهَـا] مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَلاَ تَقُولَـنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُـرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِـكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَـةٌ لِلدِّينِ وَتَقَـرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ...، وأَنْصِـفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِـكَ وَمِنْ خَاصَّـةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَـكَ [هَوًى فيه] فيـهِ هَوًى مِـنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّـكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَـنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَـهُ دُونَ عِبَـادِهِ وَمَـنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ...». (نهـج البلاغـة: ٤٢٨، برقم٥٤)

مشـدداً بهـذا على حرمـة انتهاك الحقوق، واسـتعمال القسـوة والصرامة، وناهيـاً عن اسـتخدام المنصب أداةً للعقوبة والشـدة؛ لما يتسـببه ذلك مـن إفسـاد الحاكم لنفسـه بإصلاحـه لغيره، ومخاطـرة بالنفس وتعريضها للمحاسـبة الإلهية.

وقال عليه السـلام: «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَـقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا [لرضا] لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُـخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِـفُ [برضا] بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُـخْطَ الْخَاصَّـةِ يُغْتَفَـرُ مَعَ [رِضَـا] رِضَى الْعَامَّـةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّـةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَـاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَـلاَءِ وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ وَأَسْـأَلَ بِالإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُـكْراً عِنْدَ الإِعْطَـاءِ وَأَبْطَأَ عُـذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَـبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْـلِ الْخَاصَّةِ...». (نهج البلاغة: ٤٢٩)

محـذّراً بهذا من الإصغـاء إلى الدائـرة الخاصة والخط الأول المحيط بذي المنصب؛ لما يسببه ذلك من هياج غيرهم من المعارضة، واشتداد التمرد العام.

وقد بـيّن عليه السـلام بذلـك صفات الموظـف، ووصاياه لـه، داعمـاً فيه روح الإنسـانية؛ لئـلا تغلبها صفـة المنصب القانونيـة؛ فالمنصب لغـة (علـى وزن مسـجد – وهـو مـن الألفـاظ المولّـدة العامية –، بمعنى: العلو والرفعة). (شـفاء الغليـل للخفاجي:٢٢٨)

أو (الحسـب والمقام، ويسـتعار للشـرف... ومنه: منصب الولايـات السـلطانية والشـرعية، وجمعـه: المناصب). (تاج العروس للزبيدي:٢/٤٣٨)

وهـو مشـتقّ مـن مـادة (النـون والصـاد والبـاء، أصـل صحيـح، يـدل علـى إقامـة شيء). (مقاييـس اللغـة لابن فارس:٥/ ٤٣٤)

الأمـر الـذي يغـرّ ويسـاعد علـى التفلّت مـن المسـؤولية الإنسـانية أو القانونية؛ بحسـبان أنّ المنصب حاميه، مع أنّ ذلـك كأصل اشـتقاق مفـردة المنصـب لغة (مـن المجاز... نصبتـه لأمر كذا، فانتصب له، ونصب فلان لعمارة البلد). (أساس البلاغة للزمخشـري:٩٦٠)

من دون أن له ظلاً من الحقيقة.

أسباب نجاح صاحب المنصب أو المسؤول عند علي عليه السلام

إنّ مـن أسـباب نجـاح ذي المنصـب، أنْ يسـتعين بفريق عمـل متكامـل، يضـم مستشـارين أكفـاء خـبراء وعاملين مختصـين مهنيين موضوعيـين في ما يقترحونه مـن رؤى أو خطط؛ مما يكشـف عن استيفائهم لشـرط العلم والحكمة؛ والجمـع بين التصـور والتطبيق:

١. قال عليه السـلام في وصية لمالك بن الحارث الأشـتر: «وَأَكْثِرْ مُدَارَسَـةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْـهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْـتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ». (نهج البلاغة:٤٣١، عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر)

لتمـر المقترحـات والخطط الاسـتراتيجية، عبر سلسـلة مـن العقول، بمـا يوفر لهـا لفترة تقـي العباد والبـلاد آثار الفسـاد الإداري وتبعـات الفسـاد المـالي، وتضمـن الاعمار والازدهـار والنزاهـة في خارطـة طريق واضحـة ومنتجة.

قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم: «إنّ الله تعالى سائل كلّ راع عمّا استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيّعه حتّى يسأل الرّجل عن أهل بيته». (نهج الفصاحة:٢٩٦)

٢. قـال أمـير المؤمنـين عليـه السـلام في كتاب لـه لمالك الأشتر حينما ولاه مصر: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْـدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَـإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَـقُّ مَنْ سَـتَرَهَا فَلاَ تَكْشِـفَنَّ عَمَّا غَـابَ عَنْكَ مِنْهَـا فَإِنَّمَا عَلَيْـكَ تَطْهِيرُ مَـا ظَهَرَ لَـكَ وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَـا غَابَ عَنْكَ فَاسْـتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْـتَطَعْتَ يَسْـتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَـتْرَهُ مِـنْ رَعِيَّتِـكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْـدَةَ كُلِّ حِقْـدٍ وَاقْطَعْ عَنْكَ سَـبَبَ كُلِّ وِتْـرٍ وَتَغَابَ عَـنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَـكَ وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ». (نهج البلاغة:٤٢٩-٤٣٠)

ناهيـاً عـن الاسـتماع لتقاريـر الوشـاة والمتقربـين بـذم

الناس؛ لأنّ ذلك لا يبني بل يهدم، وعلى ذي المنصب تسيير الأمور بما يقطع دابر الفتنة ويصلح المفسد، وإنّ تشجيع المتزلفين بنقل الأخبار، مما يشيع العيوب ويساعد على انتشارها، فيتجرأ المتردد بارتكابها، فتسري بين أفراد المجتمع، وعندها تتضاعف المشكلة؛ من حيث أصل وجودها واتساع رقعتها؛ كبقعة الزيت في البحر، تميت الأحياء المائية، وتعيق الإبحار الاتجار.

٣. قال عليه السلام أيضاً في نفس الوصية لمالك الأشتر: «إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ [قَبْلَكَ لِلأَشْرَارِ] لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ». (نهج البلاغة:٤٣٠)

منبهاً عليه السلام على أهمية اختيار الموظفين بمختلف الدرجات، والتأكد من عدم تورطهم بجريمة أو خيانة ضد الشعب، بل يلزم البحث عن ذوي النزاهة والكفاءة، وناهياً عليه السلام عن الاستماع لمدح المادح؛ حيث يؤدي إلى الغرور والتعالي وفقدان الإحساس بألم الخطأ في حق أحد، وهي من أسباب ازدياد نسبة الأنا، والرضا عن النفس والإعجاب، وهذه آفات توهم بخلاف الواقع الذي يعرفه الممدوح عن نفسه، ولا سبيل لمعالجتها إلاّ بأنْ يصغي لما يعرّف به نفسه بنفسه؛ لأنّه أدق وأصدق من غيره، ومن دون تعارض بين ذكر المؤهلات الشخصية، وبين رفض مدح المادحين المطرين؛ لأنّ استعراض أسباب الكفاءة بيان بحق وللحق كما احتج عليه السلام في مناشداته بما اختص به دون غيره، بينما لا يكون إطراء المطرين من الحق دائماً، بل بباطل وللباطل. (الاحتجاج للطبرسي:١/١٨٨)

ولذا كان عليه السلام لا يرضى أن يمدحه أحد، ويقول: «أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ غَيْرِي اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ». (كتاب سليم بن قيس الهلالي:٢/٨٥١)

وبهذا جمع عليه السلام بين تقديم المؤهلات والتعريف بالمقومات، وبين عدم فسح المجال للمجاملين المادحين.

مواقف الإمام علي عليه السلام في أوجه ممارسة المنصب

وما أحرانا أن نتأسى بأمير المؤمنين عليه السلام ونحن نحتفي بالغدير، ونستثمر هذه العلاقة الثنائية بين الغدير والمنصب، فنتخفف من أعباء مسؤولية المنصب، بالاهتداء بهدي صاحب الغدير عليه السلام.

فقد مارس عملياً المنصب بعد ارتحال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عندما احتكم إليه الصحابة ورجعوا إليه في المعضلات، فقام عليه السلام بما أسنده إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير، وفق مواتاة الفرص المتاحة له وباختلاف المراحل المتعددة، وإلا فقد تنوعت مشاركاته العملية.

لقد أجاب عليه السلام عن معضلات المسائل حتى: (كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن؛ ويقول: لولا عليّ لهلك عمر). (الاستيعاب لابن عبد البر:٣/١١٠٣)

وروى عبد الرحمن بن أذينة الغنوي، عن أبيه أذينة ابن مسلمة، قال: (أتيت عمر بن الخطاب فسألته: من أين أعتمر؟ فقال: إيت علياً فسله، فذكر الحديث، وفيه قال عمر: ما أجد لك إلا ما قال علي). (الاستيعاب:٣/١١٠٤)

كما قال عثمان بن عفان: (لولا علي لهلك عثمان). (زين الفتى للعاصمي:١/٣١٨)

بل إنّ معاوية الذي أعلن انشقاقه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وشهر السيف بوجه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبايعه، لما جاءه رجل من أهل الشام، يقال له ابن خيبري، (وجد مع امرأته رجلاً فقتله، أو قتلهما معاً، فأشكل على معاوية ابن أبي سفيان القضاء فيه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري، يسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك، فسأل أبو موسى عن ذلك علي بن أبي طالب، فقال له علي: «إنّ هذا الشيء ما هو بأرضي، عزمت عليك لتخبرني»، فقال له أبو موسى: كتب إليّ معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك، فقال علي: «أنا أبو الحسن: إن لم يأت بأربعة شهداء، فليعط برمته»). (الموطأ للإمام مالك:٢/٧٣٧،برقم١٨)

لقد أنقذ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه

السلام (المجنونة التي أمر برجمها، و... التي وضعت لستة أشهر، فأراد عمر رجمها، فقال له علي: «إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾»، وقال له: إنّ الله رفع القلم عن المجنون»، فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر). (الاستيعاب:٣/١١٠٣)

وبهذا يكون عليه السلام خلّص محكوماً بتنفيذ الإعدام من الموت، مبيناً خطأ الحكم، وأنّه عليه السلام نتيجة طبيعية لتداخل السلطات التشريعية والتنفيذية مع القضائية، بينما يجب انفصالها وعدم التداخل بينها؛ لئلا تحصل انتهاكات لحقوق الإنسان، ولذلك قال عمر: (علي أقضانا). (الاستيعاب:٣/١١٠٥)

عندما (كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين... قال عمر لعلي: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟، فقال علي عليه السلام: «إنّك... إن شخصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك الأرض من أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهم إليك مما قدامك، وإن العجم إذا رأوك عياناً قالوا: هذا ملك العرب كلها، فكان أشد لقتالهم، وإنا لم نقاتل الناس على عهد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعده بالكثرة، بل اكتب إلى أهل الشام أن يقيم منهم بشامهم الثلثان، ويشخص الثلث، وكذلك إلى عمان، وكذلك سائر الأمصار والكور). (الأخبار الطوال للدينوري:١٣٥)

مما يدل على حكمة وحنكة واهتمام بالإسلام والمسلمين، وتسام فوق شخصنة المواقف.

لقد أشار عليه السلام على عثمان بإجراء إصلاحات جذرية، إدارية وغيرها؛ وذلك عندما شكا الناس (ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم، فدخل عليه، فقال: «إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ... فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً... وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا؛ وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ [أَنْ] أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ». (نهج البلاغة:٢٣٤-٢٣٥)

الأمر الذي يدل على مشاركات واسعة أملاها عليه شعوره عليه السلام بمسؤولية المنصب، حيث لم يكتف باتخاذ موقف المعارض أو المحايد، عندما رأى مصلحة الإسلام في التصريح بعدم موافقته على الإجراءات التعسفية والغبن الذي يلحق الناس، فأقدم على التوجيه والتصحيح وإرشاد ونصيحة، ما وسعه ذلك، وقد بيّن العواقب في هذه الإجراءات، مبرهناً على صحة أنّه لا يصلح الأمة إلا الإمامة، وإلا كان هدر الحقوق العامة أو الخاصة وتضييعها، وهو محرم ارتكابه على من يمكنه التغيير أو المشاركة فيه، ومبيناً أنّ المخرج من الأزمات هو تغليب المصلحة العامة ضمن ثلاثة الدين والوطن والإنسان على الخاصة الشخصية، وهذا مما أسهم في تخليد سيرة علي عليه السلام في تاريخ الإنسانية، مهما حاول خصومه التأثير على بريقه ووهجه.

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
عن مصادره - بتصرف

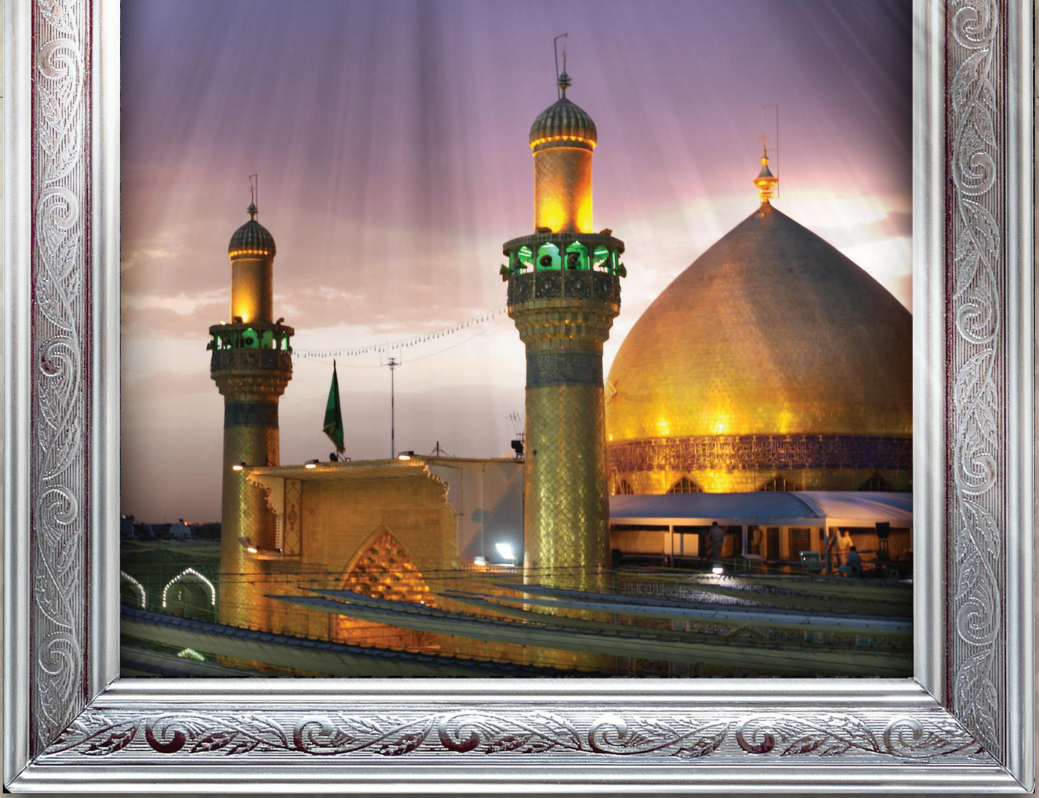

الحياة مع الإمام علي عليه السلام

لم أحب إنساناً كحبي للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فلقد امتزج حبه بعظمي ولحمي ودمي، وبشري وكل خلية من خلايا جسمي.

وقد انعكس هذا الحب تفاعلاً مع حياته الشريفة.. فكنت أتتبع كل شيء عن حياته.. وأصغي إلى كل كلمة من كلماته.. وأترقب حركاته وسكناته.. ونومه ويقظته.. وقيامه وقعوده.

ثم صرت أفرح لفرحه.. وأبكي لبكائه.. وأغضب لغضبه..

ورحت أتأمّل في حياة الإمام علي عليه السلام، وكأنّي أعيش معه في مكة المكرمة.. وفي المدينة المنورة.. وفي الكوفة.. وكأنّي أراه وهو يخطب على المنبر، ويمشي في الأسواق، ويساعد المحتاجين، ويستمع لشكوى المظلومين، ويصلّي، ويقنت، ويركع، ويسجد.

هكذا رأيت علياً

عشت مع الإمام علي عليه السلام في حياته من المهد إلى اللحد، فرأيته إنساناً في أعلى درجات الإنسانية، وإماماً معصوماً مفترض الطاعة على البرية.

ورأيته يحمل بين جنبيه قلباً يسع العالم كلّه، ويفيض بالحنان والرحمة والرأفة.

رأيته في المحراب يذوب في رحاب الله تعالى، وعلى المنبر خطيباً واعظاً وثائراً يقذف حمماً بركانية.

وفي الحياة يعمل ويكدح ويتعب، وفي المجتمع يعين المحتاج، ويحنو على المساكين، ويكفل الأيتام، ويعين الأخوان، ويصاحب الأصحاب.

ولا غرو، فهو وارث الأنبياء والمرسلين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:« من أحب أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته، وإلى ميكائيل في رتبته، وإلى جبرئيل في جلالته، وإلى آدم في علميه، وإلى نوح في خشيته، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى موسى في مناجاته، وإلى أيّوب في صبره، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في عبادته، وإلى يونس في ورعه، وإلى محمد في حسبه وخُلقه، فلينظر إلى عليّ، فإنّ فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء جمع الله فيه ولم يجمعها في أحد غيره».(الفضائل العلوية)

وهو الجامع لصفات الجمال والكمال، حتى إنّه جمع الصفات المتضادة كما قال الشاعر:

جُمعت في صفاتك الأضداد
فلهذا عزّت لك الأنداد
ناسك فاتك، حليم شجاع
عالم حاكم، فقير جواد
شيم ما جُمعن في بشرقطّ
ولا حاز مثلهن العباد

يقول السيد الطباطبائي: (وإنّ العجيب في أمر الإمام علي عليه السلام أنّه بلغ الغاية في مختلف جهات الفضائل الإنسانية، فهو بحق الإمام في كل باب، والمثال الحق في كل غاية كريمة، على خلاف ما نجده من حال النوابغ، وشخصيات

الأفذاذ من رجال التاريخ.

إننا نجد الرجل إذا كان شجاعاً باسلاً، شديد البأس، رابط الجأش، لا تزعزعه الأهوال، ولا تروعه مقارعة الأبطال – نجده عادة – قصير الباع في التدبير والتفكير، قليل الحظ من الرأفة والرقة.

ونجد الرجل العابد المتزهد المتورع، مغرقاً في الزهد والعبادة، وعارفاً بسبل رياضة بدنه، ومجاهدة نفسه، ولكنّه قاصر في سياسة الدولة، وإدارة الأمّة، لا يقوى على تمييز النصيحة من الخديعة، ولا يلتفت على المكائد ولطائف الحيل.

وهكذا، في مختلف الموارد، وسائر الأفراد، فإنّك لا تكاد تجد من يجمع أكثر الصفات والخصال الحميدة فضلاً عن كلها، وليس ذلك إلاّ لأنّ النّفس الإنسانية تمتلك قدراً محدوداً من الهمة، فإذا اجتمعت الهمة على أمر، ضعفت بطبيعة الحال في سائر الأمور الأخرى، وإذا وزعتها على مقاصد شتى، وقسمتها بينها ضعف الجميع، ولم يكن الوصول في الكل إلى درجة الكمال المطلوب، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾. (الأحزاب:٤)

أمّا الإمام عليه السلام فلم تكن فضائله النفسية ناشئة عن تهذيب سبقه تروّ وتأمّل فكريان، ولم يسلم أمره إلى هوى نفسه، لتختار له الجهة التي عليه أن يصرف همته فيها.

وإنّما أخذته جذبة إلهية أنسته غيره سبحانه، وأزالت من نفسه كل المآرب البشرية التي تشده إلى نفسه، وتقربه منها ولم تبق منها شيئاً، وانتزعت كل الشهوات الغريزية، التي توجهه نحو الملذات الآنية، فلا شيء بعد شده نحو نفسه، ولا شيء أيضاً يزين له الشهوات والملذات الدنيوية، بل كل همه هو الحق، والحق فقط فهو الغاية، وإليه سوف تكون النهاية.

وهذا هو الذي جعله عليه السلام يعطي كل موقف حقه، وهداه إلى الحق فالتزمه.

وكان معه، حتى عند اختلاف الدواعي والبواعث. (علي عليه السلام والفلسفة الإلهية:٢٧.

لقد عاش عليه السلام عدة أجيال في حياة واحدة طوت تجارب ودهوراً طويلة، فهو كما قال لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ، قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ...». (تحف العقول:٧٠)

البعد الروحي

إذا كان للإمام علي عليه السلام أبعادٌ كثيرةٌ في شخصيته وكلها تجذب الإنسان لحبه والاقتراب منه، إلا أنّ أهم تلك الأبعاد هو البعد الروحي لدى الإمام عليه السلام.

فبه وصل الإمام عليه السلام إلى المقامات العالية في الدنيا والآخرة، وبه جذب القلوب إليه، وبه قلع باب خيبر.

ففي رسالته عليه السلام إلى سهل بن حنيف قال: «وَاللهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، وَلاَ حَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ؛ لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ، وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئَةٍ». (أمالي الصدوق:٥١٤)

ولهذا البعد الروحي صار الإمام عليه السلام قبلة أهل الباطن، وقدوة العارفين وباب السالكين للقاء رب العالمين، وهو القائل عليه السلام: «أَنَا حَيَاةُ الْعَارِفِينَ». (فضائل ابن شاذان:٨١)

دعاء ورجاء

نعم هكذا عشت مع الإمام علي عليه السلام وهكذا رأيته، وإني أدعو الله تعالى من أعماق قلبي أن يوفّقني للسير على خطى علي عليه السلام، فأعبد الله كما عبد علي عليه السلام، وأجاهد كما جاهد علي عليه السلام، وأنطق كما نطق علي عليه السلام، وأحيا كما كان علي عليه السلام، وأموت كما مات علي عليه السلام.

إنني عاجز عن القيام بما كان عليه السلام ولكني أتمنى من كل قلبي أن اقترب منه، وأتشبّه بأفعاله، وقد قال عليه السلام: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ». (نهج البلاغة:٤١٧)

إلهي إنّ قلبي هاج بحب علي عليه السلام، وأنت الذي جعلت في هذا الحب والشوق، فأسألك يا رب العالمين أن لا تحرمني رؤية علي عليه السلام عند الاحتضار.

قول إنّ الذي يموت يراني
حار همدان عن علي رواه
فتمنيت أن أموت مراراً
كل يوم وليلة لأراه

وأدعوك يا مجيب الدعوات أن ترزقني شفاعة علي عليه السلام في القبر ويوم القيامة، وأن أسقى من حوض الكوثر بيده عليه السلام، وأن أحشر معه، إنّك أنت أرحم الراحمين ومجيب دعوة المضطرين.

حسين نجيب محمد

الإمام علي عليه السـلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم

يصادف يوم الرابع والعشرون من شهر ذي الحجة الحرام ذكرى تصدُّق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه أثناء صلاته وهو راكع، ونظراً لأهمية هذه الذكرى وما انطوت عليه من مفاهيم ومضامين وأبعادها ودلالاتها العميقة أنزل الله تعالى فيها آية مباركة ولهذه الآية دلائل عديدة، لابد أن نرجع للأحاديث الشريفة من أهل البيت عليهم السلام لكي نعرف المراد في هذه الآية المباركة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة:٥٥-٥٦).

شأن نزول الآية

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في بيته - وعنده نفر من اليهود أو قال: خمسة من اليهود -، فيهم عبد الله بن سلام، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ [بهذا الفتى] فتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله في منزله وخرج إلى المسجد، فإذا بسائل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أصدق عليك أحد بشيء؟ قال: نعم هو ذاك المصلي، فإذا هو علي عليه السلام. (تفسير العياشي:١/٣٢٨)

وعن فُرَات الكوفي قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ الْقَصَّارُ، مُعَنْعَناً عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ النَّبِيَّ، وَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ أَحَبَّنَا، وَمَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّ شِيعَتَنَا، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وَنَحْنُ وَشِيعَتُنَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ لَا نُبْغِضُ مَنْ يُحِبُّنَا وَلَا نُحِبُّ مَنْ أَبْغَضَنَا اقْرَءُوا إِنْ

شئتُمْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾»، قَالَ الحادث: صَدَقَ وَاللهِ مَا نَزَلَتْ إِلاَّ فِيهِ). (تفسير فرات الكوفي:١٢٨)

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنّ رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام، وأسد، وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا نبيَّ الله، إنّ موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيُّك يا رسول الله ؟ ومن وليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا، فقاموا فأتوا المسجد، فإذا سَائلٌ خارج، فقال: يا سائل، أما أعطاكَ أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذا الخاتم.

قال صلى الله عليه وآله: مَنْ أعطَاك؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلّي، قال: عَلى أيِّ حَالٍ أعطاك؟ قال: كان راكعاً، فكبَّر النبيُّ صلى الله عليه وآله، وكبَّر أهل المسجد.

فقال صلى الله عليه وآله: عليٌّ وليُّكم بعدي، قالوا: رضينا بالله ربَّاً، وبمحمَّد نبياً، وبعليٍّ بن أبي طالب ولياً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. (أمالي الصدوق: ١٨٥).

فقد دلّت الروايات الشريفة على تصدّق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في حال الركوع.

معاني المفردات

﴿وَلِيُّكُمُ﴾

جاء في مجمع البيان: (الوليّ هو الّذي يلي النصرة والمعونة، والوليّ هو الّذي يلي تدبير الأمر... قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله: أصل الوليّ: الَّذي هو أولى أي أحقّ). (مجمع البيان:٣/٢٦١)

﴿رَاكِعُونَ﴾

الركوع هو التطأطؤ المخصوص، قال الخليل: (كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا يمس بعد أن يطأطىء رأسه فهو راكع... ومنه الركوع في الصلاة). (مجمع البيان:٣/٢٦٢)

﴿حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

الحزب: الطائفة والجماعة، وأصله من قولهم: حزبه الأمر يحزبه إذا نابه، وكل قوم تشابهت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب، وتحزب القوم إذا اجتمعوا.

مناسبة النزول

جاء في الدر المنثور، أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمّار بن ياسر، قال: (وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوّع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه، ثُمَّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»). (الدر المنثور:٣/١٠٥)

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: (أتى عبد الله بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبيّ الله عند الظهر، فقالوا: يا رسول الله، إنَّ بيوتنا قاصية لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإنَّ قومنا لما رأونا قد صدّقنا الله ورسوله وتركنا دينهم، أظهروا العداوة وأقسموا أن لا يخالطونا ولا يؤاكلونا، فشقّ ذلك علينا، فبينما هم يشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ونودي بالصلاة، صلاة الظهر، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد والنَّاس بين قائم وراكع، فنظر سائلاً فقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟»، قال: نعم، قال: «من؟»، قال: ذلك الرّجل القائم، قال: «على أي حال أعطاكه؟»، قال: وهو راكع، قال: «وذلك عليّ بن أبي طالبٍ»، فكبّر رسول الله عند ذلك

وهو يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾»). (الدر المنثور:٣/١٠٦)

وقد جاء من طرق أهل السنَّة أربع وعشرون رواية تتفق ومضمون هذا الحديث، وتسع عشرة رواية من طرق أهل الشيعة، كما جاء في كتاب منهاج البراعة نقلاً عن كتاب (غاية المرام)، وتجاوز عدد الكتب الّتي أوردت هذه الرِّوايات الثلاثين كتاباً كلها من تأليف علماء أهل السّنَّة.

خط الولاية الَّذي يجب التزامه

وجاءت هاتان الآيتان لتحددا خط الولاية الَّذي يجب أن يلتزمه النَّاس بالنسبة لما يلتزمون به في العقيدة والشريعة والقيادة.

فالله هو الولي الَّذي تتجه إليه قلوب العباد وأرواحهم بالطاعة والعبادة والإخلاص والنصرة والمحبّة، فبالإيمان به ينفتح درب الحياة، وبالالتزام بشريعته يستقيم خط العدل، وبالإنابة إليه يتصحح كل انحراف، وهو المرجع والملجأ في كل شيء، لأنَّه القادر على كل شيء، والمهيمن على كل وجود، والرسول هو الولي في الدعوة والرسالة والقيادة، فهو الَّذي يجب على النَّاس أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم من طاعة الله وعبادته، وهو الرسول الَّذي أراد الله للنَّاس أن يؤمنوا برسالته بما يوحيه الله إليه من وحيه، وبما ينزل عليه من قرآنه، وهو القائد الَّذي جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فيملك منهم ما لا يملكونه من أنفسهم، وله عليهم حقّ الطاعة في ذلك كله، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، والَّذين آمنوا هم أولياء المؤمنين، لأنَّهم يُمثِّلون الإخلاص لله في ما تُمثِّله الصَّلاة الّتي يقيمونها من روح الإخلاص وشعاره، وفي ما تُمثِّله الزكاة الّتي يؤتونها كتعبيرٍ عن روحيّة العطاء المنسابة من إنسانيّة الإيمان النابض في روح الإنسان المؤمن وقلبه، لا سيما وأنَّهم يؤدونها وهم راكعون لله، كأسلوب من أساليب المزج العملي بين عبادة العطاء وعبادة الخضوع، في ما يوحيه ذلك من معنى العبادة الَّذي لا يتمثَّل في حركة الشكل التقليدي للعمل العبادي، بل يمتد ليتحوّل إلى عنصرٍ من عناصر الخير الفاعل في حياة النَّاس الآخرين المحتاجين للعطاء.

وربَّما كان الاقتصار على هاتين الصفتين في شخصيّة الولاية في المؤمنين، للإيحاء بأنَّهما في ما يعبران عنه من معنىً داخليٍّ روحيٍّ وعمليٍّ، يمثِّلان الانطلاقة الحيّة في الصفات العامّة والخاصة الّتي ينبغي أن تتوافر في ولي المؤمنين، في ما يتحدّث به المتحدِّثون من شروط الولاية، لأنَّ الإنسان الَّذي يُقيم الصلاة لله بمعناها الحقيقي، لا بُدَّ من أن يعيش الإخلاص والأمانة على رسالة الله وحياة عباده، كما أنَّ الإنسان الَّذي يؤتي الزكاة من موقع الخضوع لله والركوع بين يديه، لا بُدَّ من أن يحمل مسؤولية النَّاس الذين يتولى أمورهم بكل أمانة وإخلاص، وبذلك تجتمع له الاستقامة في خط العقيدة، والاستقامة في خط المسؤوليّة العمليّة.

ولاية الإمام عليّ عليه السلام من خلال الآية

وقد جاء في أكثر من حديث، أنَّ الآية الأولى قد نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما تصدّق على الفقير الَّذي سأله الصدقة وهو في حالة الركوع، فأعطاه خاتمه.

ولا بُدَّ من أن تكون لهذه الحادثة الدلالة التعبيريّة الإيحائيّة بالمعنى الروحي الَّذي تُمثِّله هذه الصدقة، من حيث علاقة الصَّلاة بروح العطاء في نطاق الصدقة، مما لا يجعل من ممارستها في أثناء الصلاة عملاً مختلفاً عن الصَّلاة، بل يعتبر منسجماً معها تمام الانسجام، لأنَّ كلاً منهما يُمثِّل رضا الله في ما يأمر به من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ التركيز على الَّذين آمنوا الَّذين يمارسون هذا العمل، يوحي بأنَّ المسألة ليست منطلقةً من خلال هذا العمل كحالة طارئة من حالات التصدُّق، بل هي منطلقةٌ من حيث كونها مدلولاً إيمانياً عملياً، يتحرك في كيان الشخص، ليتحول إلى صفة لازمة لا تنفك عنه، ما يجعله من ملامح الشخصيّة الأصيلة.

وقد نستوحي من نزولها في نطاق هذه الحادثة،

في ممارسة علي عليه السلام، أنّ الآية تريد أن تشير إلى النموذج الأمثل ليجد النّاس فيه الفكرة بعمق، مما يراد لهم من خلاله أن يتطلعوا إلى النموذج الأمثل ليجدوا فيه عمق الدلالة على المعنى من حيث ملامحه الحقيقية، ولا يتوقفوا عند المدلول الساذج للصفة والحادثة.

وجاءت الآية الثانية لتؤكد على جانب الممارسة، بعد أن أكدت الآية الأولى على جانب الخط، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ويتحرك في خط الولاية الصحيح فيلتزم به ويترك الخط المزيف، فسيجد كل الخير والهدى والعدل والصلاح والقوّة والغلبة، في هذا الجانب الَّذي يُمثِّل حزب الله في كل ما يحمل من شعارات ويتجه إليه من أهداف، وإذا سار النَّاس في هذا الطريق، وعاشوا الانتماء إلى حزب الله، فسيكون لهم النصر والغلبة على الآخرين، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بفكرهم، وإخلاصهم، وثباتهم، وصمودهم، أمام التحديات الصعبة في الساحة.

لمحة خاطفة ومختصرة عن المناقشات حول الفكرة

كثرت أحاديث المتكلّمين والمفسرين حول دلالة هذه الآية على ولاية الإمام علي عليه السلام فيما تعنيه من معنى الحاكميّة الّتي تعطي صلاحيّة التصرّف في شؤون النَّاس، باعتبار اتحاد المراد من ولاية الله والرسول والذين آمنوا موضوعاً، لا أنَّ ولاية الله هي بالأصل والتكوين، وولاية الرسول والَّذين آمنوا بالتبع والجعل.

وقد أثير حول ذلك الكثير من الجدل، بين من ناقش في سند الرِّوايات الّتي دلّت على نزولها في قصة تصدُّق عليّ عليه السلام بالخاتم أثناء الصَّلاة، كابن تيمية الَّذي اعتبرها من الموضوعات مدعياً على ذلك الإجماع، وبين من أقر صحتها كأكثر المفسرين والمتكلمين والرواة.

وناقش بعضهم في دلالتها على النظرية الشيعية في الإمامة وأقرّها البعض الآخر، وذكر بعضهم في مناقشة الدلالة، (أنَّ لازمها إطلاق الجمع وإرادة الواحد، فإنَّ المراد بـ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الخ، على هذا التقدير هو علي، ولا يساعده اللغة). (تفسير الميزان:٦/٩)

وأجاب عن ذلك صاحب تفسير الميزان: (أنَّه فرَّق بين إطلاق لفظ الجمع وإرادة الواحد واستعماله فيه، وبين إعطاء حكم كلي أو الإخبار بمعرف جمعي في لفظ الجمع لينطبق على من يصح أن ينطبق عليه، ثُمَّ لا يكون المصداق الَّذي يصح أن ينطبق عليه إلاَّ واحداً فرداً، واللغة تأبى عن قبول الأول دون الثاني على شيوعه في الاستعمالات). (تفسير الميزان:٦/١٠)

وناقش بعضهم بأنَّ لازمها كون المراد بالزكاة هو التصدُّق بالخاتم ولا يسمى ذلك زكاة، وأجيب عنه - كما في تفسير الميزان - بأنَّ: (الزكاة من أفراد الصدقة، وإنما سميت زكاة لكون الصدقة مطهرة مزكية مطلقاً، وقد غلب استعمالها في الصدقة المصطلحة). (تفسير الميزان:٦/١١)

والإطلاقات القرآنية التي تحدثت عن الزكاة في الشرائع السابقة الّتي تختلف عن المعنى المصطلح تؤكد ذلك.

شعبة الدراسات والبحوث
عن مصادره - بتصرف

فضل زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة

ورد في الأخبار ما نصّه:

الرواية الأولى

× قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِعَرَفَةَ أَقْلَبَهُ اللهُ ثَلِجَ الْفُؤَادِ». (مصباح المتهجد: ٤٩٧)

جاء كلمة (الفؤاد) في اللغة العربية بمعنى (القلب)، وكذلك جاء أيضاً بمعنى (العقل).

معنى القلب

فهناك ارتباط بين القلب والفؤاد في المعنى اللغوي حيث قال ابن منظور: (والقلب: مضغة من الفوائد مطلقة بالنياط. قال ابن سيدة: القلب الفؤاد، مذكر، سرّح بذلك اللحياني، والجمع: أقلب وقلوب، الأولى عن اللحياني. وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ...﴾. (الشعراء: ١٩٣-١٩٤)؛ قال الزجاج: معناه نزل به جبرئيل عليه السلام عليك، فوعاه قلبك، وثبت فلا تنساه أبداً. وقد عبّر بالقلب عن العقل، قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾. (ق: ٣٧)؛ أي عقل. قال الفرّاء: وجائز في العربية أن تقول: ما لك قلب، وما قلبك معك؛ تقول: ما عقلك معك، وأين ذهب قلبك؟ أي أين ذهب عقلك؟ وقال غيره: لمن كان له قلب أي تفهّم وتدبّر. وقال البعض: سمّي القلب قلباً لتقلّبه. وقال الأزهري: ورأيت بعض العرب يسمّي لحمة القلب كلها، شحمها وحجابها: قلباً وفؤاداً. قال: ولم أرهم يفرقون بينهما. (لسان العرب: ١/٦٥١)

ثلج الفؤاد

فثلج الفؤاد كما جاء في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه يكون قلبه مطمئناً، لا يخاف من شيء.

فقد جاء في الحديث: «مَنْ لَعَنَ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عِنْدَ شُرْبِ الْمَاءِ حَشَرَهُ اللهُ ثَلِجَ الْفُؤَادِ»، أي مطمئن القلب، من قولهم: ثَلِجَتْ نفسي بالأمر ثُلُوجاً – من باب قعد وتعب – أي اطمأنت وسكنت. و مثله قَوْلُهُ عليه السلام: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرَبَ الْآخِرَةِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ ثَلِجُ الْفُؤَادِ». (مجمع البحرين: ٢/٢٨٣)

إنّ في زيارة سيد الشهداء عليه السلام اطمئنان للقلب وسكون للعقل والفؤاد، إذا كان الإنسان مطمئن القلب ومرتاح البال فسيكون في أفضل حالات الروح.

إن كان الإنسان مشغولاً بهذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها، فهو مشغول القلب ومشغول العقل، ولا يدري ما سيكون عليه يوم غد، ولا يعلم ماذا يعمل لنفسه وما سيحدث له.

في حين زيارة سيد الشهداء عليه السلام في يوم عرفة، سيجعل الإنسان في سكينة ووقار وهدوء وبعيداً عن الضوضاء ويكون قلبه مطمئناً راسخاً قوياً لا يخاف من شيء ولا يهتم لأي أمر من أمور الدنيا، وهذه من خصوصيات زيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم العظيم.

الرواية الثانية

قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ عَرَفَةَ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَجَّةٍ مَعَ الْقَائِمِ وَأَلْفَ أَلْفِ عُمْرَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعِتْقَ أَلْفِ أَلْفِ نَسَمَةٍ وَحُمْلَانَ أَلْفِ أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَسَمَّاهُ اللهُ عَبْدِيَ الصِّدِّيقَ آمَنَ بِوَعْدِي، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: فُلَانٌ صِدِّيقٌ زَكَّاهُ اللهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ وَسُمِّيَ فِي الْأَرْضِ كَرُوباً». (كامل الزيارات: ١٧٢)

إنّ من الأمور الواجبة على الإنسان هو الحج، فقد فرض الله الحج على المسلمين إحياءً لشعائره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة: ١٥٨)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً...﴾. (المائدة:٢)

وقوله تعالى: ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. (الحج:٣٢)

فالحج من شعائر الله تعالى وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «الْحَاجُّ حُمْلَانُهُ وَضَمَانُهُ عَلَى اللهِ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَكَّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ طَوَافَهُ وَسَعْيَهُ فَإِذَا كَانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ ضَرَبَا عَلَى مَنْكِبِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولانِ يَا هَذَا أَمَّا مَا مَضَى فَقَدْ كُفِيتَهُ فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ فيمَا تَسْتَقْبِلُ». (المحاسن:١/ ٦٤)

فقد جعل الله ثواب الحج لا يعد ولا يحصى إنّ ضمان الحاج على الله، والضمان هنا يعني الحفظ والصون، إنّ الله تعالى قد يرعى جميع الأمور الخاصة بالحاج؛ فضلاً عن أنّه تعالى يوكّل ملكان لحفظه وذلك حينما يدخل المسجد الحرام فيكونان مع الحاج حتى يكمل طوافه، وينتقل إلى عرفة، فإذا أكمل مناسكه يبشرانه بأنّ الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه، فعليه أن ينظر في مستقبله؛ إضافة لذلك جعل الله ثواب الحاج الجنّة.

فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: الْحَجَّةُ ثَوَابُهَا الْجَنَّةُ...». (الكافي:٨/ ١٨٠)

فإذا نظرنا إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام في خصوص زيارة سيد الشهداء عليه السلام في يوم عرفة، نرى الخصوصية العظيمة لزائر الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم، وقد يسجّل له ألف ألف حجّة مع الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو الموعود الذي ينتظره الجميع، فيا لها من حظوة ونصيب، ومن بركة وخير. فضلاً عن أنّه يعتمر ألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «...الْعُمْرَةُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ ذَنْبٍ». (الكافي:٨/ ١٨٠)

فكل عمرة واحدة هي كفارة لكل ذنب.

والملاحظ هنا أنّ الكفارة للذنوب التي بين العبد وربّه، أمّا الأمور التي بين العبد وإخوانه فهذا لا يغتفر إلاّ باستحصال براءة الذمة من الآخرين.

فعدد ألف ألف، هو ما يعادل (مليون)، فيكون زائر الحسين عليه السلام في يوم عرفة قد حصل على (مليون حجّة مع الإمام المهدي القائم من آل محمد عليهم السلام) و(مليون عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

إضافة لذلك قد يسجّل له عتق ألف ألف نسمة، أي (مليون شخص)، وقد جهّز (مليون فرس) في سبيل الله، ويسمّيه الباري عزّ وجل (العبد الصديق) ويخاطبه بالعبد، فيا لها من شأنية ومن منزلة.

وتنادي الملائكة باسمه أنّ فلاناً قد صدق وآمن بوعد الله تعالى، وقد طيبّه الله بالتزكية وزكّاه من فوق عرشه تعالى ويسمّى في الأرض كروباً أي من المقربين إلى الله تعالى.

ما معنى الكَرّوبيون

الكروبيون [بكسر الباء وتشديد الياء] خلق من الملائكة، وجبرئيل عليه السلام هو أفضلهم وعلى رأسهم، وهم سادة الملائكة والمقربون منهم. (مجمع البحرين:٢/ ١٥٩)

وهم المقربون من الله عزّ وجل.

وأصل هذه الكلمة من (كَرُبَ) أي: قرب؛ و(كربت الشمس) أي قربت للمغيب؛ وكل دانٍ قريب فهو كارب.

والمراد بقربهم من الله جلّ جلاله شرف منزلتهم عنده وجلالة محلهم منه. (بحار الأنوار:٨٧/ ١٠٩)

وروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ سَمِعْتُ بُكَاءً، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا بُكَاءَ الْكَرُوبِيِّينَ عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ».

(مستدرك الوسائل:١١/٢٤٠،ح(١٢٨٥٩)١)

وروي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم رأى في السماء الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة الكروبيين، وفي السابعة خلقاً وملائكة.(بحار الأنوار:١٨/٣٨٢)

فوق إحساس الكروبيين

فبالنسبة إلى المراد من (إحساس الكروبين) الوارد في دعاء السمات [بكسر السين]، وهو جمع السمة، وهي العلامة، كأنّ عليه علامات الإجابة.

والذي يعرف هذا الدعاء بدعاء (الشبور) أيضاً؛ ويستحب الدعاء به في آخر ساعة من نهار الجمعة، وهو من الأدعية المشهورة، وقد واظب عليه أكثر العلماء السلف، وهو مروي في مصباح الشيخ الطوسي، وفي جمال الأسبوع لابن طاووس، وكتب الكفعمي بإسناد معتبرة عن محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه) وهو من نواب الحجة الغائب عليه السلام، وقد روي الدعاء أيضاً عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ورواه العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار.

فإحساس الكروبيين هو أصوات الكروبيين، والحس والحسيس هو الصوت الخفي، والمعنى هو أن كلام الله جلّ جلاله أعلى من كل شيء، وفوق كل شيء، لأنّه فوق أصوات الكروبيين.

قال العلامة المجلسي قدس سره: (ويمكن أن يكون المراد بـ(فوق إحساس الكروبيين) أن المكان الذي حدث فيه ذلك الصوت كان فوق أمكنتهم، أو كان ذلك الصوت أخفى من أصواتهم، فالمراد فوقها في الخفاء، كما قيل في قوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.(البقرة:٢٧)).(بحار الأنوار:٨٧/١٠٩)

وروى أحمد بن محمد السياري، عن عبيد بن أبي عبد الله الفارسي وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ الْكَرُوبِيِّينَ قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِنَا مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ جَعَلَهُمُ اللهُ خَلْفَ الْعَرْشِ لَوْ قُسِمَ نُورُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَكَفَاهُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إنَّ مُوسَى لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ مَا سَأَلَ أَمَرَ وَاحِداً مِنَ الْكَرُوبِيِّينَ فَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكّاً».(بصائر الدرجات:١/٧٠)

معرفة الإمام

إنّ معرفة الإمام ليس فقط معرفة اسمه وكنيته وولادته وسيرته الشخصية، بل هو معرفة منزلته ومقامه، معرفة الحقوق الواجبة علينا باتجاهه عليه السلام، معرفة ما يريده الإمام المعصوم من الناس في إتباع أوامره والتوقف عما ينهى عنه.

فقد جاءت روايات عديدة في معرفة الإمام المعصوم ومقامه الشريف ومنزلته الرفيعة، فعن سليمان بن خالد قال: سألت الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ (فاطر:٣٢)، فَقَالَ: «أَيَّ شَيْءٍ تَقُولُونَ أَنْتُمْ؟»، قُلْتُ: نَقُولُ إِنَّهَا فِي الْفَاطِمِيِّينَ، قَالَ عليه السلام: «لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، لَيْسَ يَدْخُلُ فِي هَذَا مَنْ أَشَارَ بِسَيْفِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى خِلَافٍ»، فَقُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ؟ قَالَ: «الْجَالِسُ فِي بَيْتِهِ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الْإِمَامِ وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِحَقِّ الْإِمَامِ وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ».(الكافي:١/٢١٤)

وعن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾، قال: فقال عليه السلام: «وُلْدُ فَاطِمَةَ عليهم السلام وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِالْإِمَامِ وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ».(الكافي:١/٢١٥)

وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ عليه السلام: «الْمُنْذِرُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ إِمَامٌ مِنَّا يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَأَوَّلُ الْهُدَاةِ بَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ السَّلَامِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ»، قَالَ: فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قَالَ عليه السلام: «رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ يُنْزِلُ عَلَيْهِ شَيْئاً إِلَّا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ كُلَّهُ»، قَالَ: فَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، قَالَ عليه السلام: «إِيَّانَا عَنَى بِهَذَا وَالسَّابِقُ مِنَّا الْإِمَامُ وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِحَقِّ الْإِمَامِ وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الشَّاكُّ الْوَاقِفُ مِنَّا».(دعائم الإسلام:٢٢-٢٣)

سأل أَبُو هَاشِمٍ الإمام العسكري عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ

تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، قال عليه السلام: «كُلُّهُمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يُقِرُّ بِالإِمَامِ وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِالإِمَامِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ الإِمَامُ»، فَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِي نَفْسِي عِظَمَ مَا أَعْطَى اللَّهُ آلَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَبَكَيْتُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: «الأَمْرُ أَعْظَمُ مِمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُكَ مِنْ عِظَمِ شَأْنِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَاحْمَدِ اللَّهَ أَنْ جَعَلَكَ مُسْتَمْسِكاً بِحَبْلِهِمْ تُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهِمْ إِذَا دُعِيَ كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ». (كشف الغمة:٢/٤١٩)

وَمِنْهَا مَا رَوَى الْحُسَيْنُ بْنُ رَاشِد قَالَ: ذَكَرْتُ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ فَتَنَقَّصْتُهُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ رَحِمَ اللَّهُ عَمِّي زَيْداً فَإِنَّهُ أَتَى أَبِيَ الْبَاقِرَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْخُرُوجَ عَلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ، فَقَالَ [أبي] لَا تَفْعَلْ يَا زَيْدُ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ الْمَقْتُولَ الْمَصْلُوبَ بِظَهْرِ الْكُوفَةِ، أَمَا عَلِمْتَ يَا زَيْدُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ السَّلَاطِينِ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ إِلَّا قُتِلَ؛ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: يَا حُسَيْنُ إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ وَفِيهِمْ نَزَلَ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الإِمَامَ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِحَقِّ الإِمَامِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ هُوَ الإِمَامُ»؛ ثُمَّ قَالَ: «يَا حُسَيْنُ إِنَّا أَهْلَ بَيْتٍ لَا نَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى نُقِرَّ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ». (كشف الغمة:٢/١٤٤-١٤٥)

الرواية الثالثة

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ نَظَرَ اللَّهُ إِلَى زُوَّارِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَيَقُولُ: ارْجِعُوا مَغْفُوراً لَكُمْ مَا مَضَى، وَلَا يُكْتَبُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ذَنْبٌ سَبْعِينَ يَوْماً مِنْ يَوْمِ يَنْصَرِفُ». (كامل الزيارات:١٧١)

إنّ الغفران في اللغة العربية جاءت بمعنى (الإخفاء) وأيضا بمعنى (المحو).

فغفران الذنوب يعني إخفاء الموبقات والآثام التي يرتكبها الإنسان من قبل الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى كرامة لسيد الشهداء عليه السلام، وجزاءً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة قد يغفر ما مضى من الذنوب والسيئات على الإنسان، ويمحو الآثام ويخفي المحرمات التي ارتكبها، ما كانت بينه وبين العبد؛ أما الحقوق التي بين العبد وبين الناس، فهذا متعلّق فيما بين الطرفين.

الرواية الرابعة

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بَابَوَيْهِ بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِ ثَوَابِ الأَعْمَالِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي ثَوَابِ مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام فَقَالَ الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَتَاهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ عَارِفاً بِحَقِّهِ كُتِبَ لَهُ أَلْفُ حَجَّةٍ وَأَلْفُ عُمْرَةٍ مَقْبُولَةٍ وَأَلْفُ غَزْوَةٍ مَعَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ إِمَامٍ عَادِلٍ».

إنّ معرفة الإمام قد شرحناه في الفقرات السابقة، وقد بيّنا على لسان أهل البيت عليهم السلام، ما معنى معرفة الإمام حقّ معرفته.

فمعرفة حقوق الإمام المعصوم عليه السلام الذي نصّبه الله تعالى وجعله رحمة لنا بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو السر في قبول الأعمال.

إنّ معرفة الإمام لا يمكن أن تكون سطحية، ولا تختص فقط في معرفة سيرته الذاتية وتاريخه، بل لابد من إطاعة الإمام في جميع الأمور، معرفة الإمام يعني المعرفة التي تؤدي بالإنسان إلى إطاعة المعصوم من دون أي تلكؤ ومن دون أن سؤال واستفسار؛ فهذه هي المعرفة الحقيقية.

فإنّ من خواص زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة مع المعرفة الحقيقية بالإمام المعصوم عليه السلام هي أنّه يكتب لزائر الإمام عليه السلام ألف حجة وألف عمرة مقبولة، وقد نعلم أنّ كلّ الأعمال بين الردّ والقبول، شاء الله أن يقبل عملنا وشاء لا.

فقبول الأعمال مرهون برضاه عزّ وجل، فإذا رضي الله عنّا قبل أعمالنا، وكما جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام حينما عزم على السفر من مكة المكرمة إلى كربلاء قوله: «الْحَمْدُ للهِ وَمَا شَاءَ اللهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ» «خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَأَجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ...». (نزهة الناظر:٨٦)

السيد محمود الغريفي

إنّــه ثقتي من أهـل بيتي

من الشـخصيّات البارزة في النهضة الحسـينيّة والتي احتلّت مكانة خاصّة عند الإمام الحسـين عليه السـلام مبعوثـه وسـفيره لأهـل الكوفة مسـلم بن عقيـل بن أبي طالب عليهم السـلام.

وإنّ التعـرّف علـى جوانب مـن حياة هذه الشـخصيّة وأهمّ ما كانت تمتاز بـه من صفات وخصائص له الدور الكبير في معطيات الدروس والعبر سـواء على مسـتوى الفـرد، أو الأمّة الإسـلامية ومسـتقبلها.

من هو مسلم؟

نشـأ مسـلم في بيت والده عقيل بن أبـي طالب عليه السـلام، ذلك الرجل الذي كان يحبّه رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، وقاتل معه وشـاركه في حروبه ضدّ المشـركين جنباً إلى جنب أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وبعـد وفاة النبـيّ صلـى الله عليه وآله وسـلم كان قد كُفَّ بصره ومع ذلك كان صلباً في مواجهة الأعداء فأرسل إلى أخيـه الإمـام عليّ عليه السـلام يخبره باسـتعداده لتوجيهاتـه في مواجهـة الأمويّين، فأجابه الإمـام عليه السـلام برسـالة يعذره فيها ويطيّب خاطره.

وكان عقيـل عليـه السـلام عالمـاً بأنسـاب قريـش وأيّامهـا، ومن الطبيعـيّ أن يكون عالمـاً حينئذٍ بصاحب النسـب الصحيح من غيره، ومحاسن القوم ومساوئهم، لـذا كان بعضهـم يبغضـه لأنّـه كان يعدّ مسـاوئَهم.

وفي هـذا البيت المحاط بالمجد مـن جنباته، جدّ كأبي طالب المدافع الأوّل عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم، وعـمٌّ كأمـير المؤمنين عليّ بـن أبي طالب عليه السـلام، وأب صلـب وحازم وشـجاع كعقيـل بن أبي طالب، نشـأ مسلم نشأة الرجل الواعي، والعالم الخبير بأيّام العرب، والحروب والأجـواء المحيطة في عصره.

مسلم وأسرته

اقـترن مسـلم برقيّة بنـت الإمـام عليّ عليه السـلام وغيرهـا، وكان لديه أربعة أبناء أو خمسـة على اختلاف بـين المؤرّخين، قضى منهم اثنان بين يـدي أبي عبد الله الحسـين عليه السـلام في كربلاء، كمـا قضى ثلاثة من إخوته وآخـرون من بني عقيل.

وعندما أعذرهم الإمام الحسين عليه السلام وأحلَّهم من بيعته بعد شهادة مسلم فقال لهم: «حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم»؛ أبوا ذلك قالوا له: إذاً ما يقول الناس وما نقول لهم؟ إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك!!(الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:٢/٩٢)

وكانـت رقيّـة زوجـة مسـلم مـع أخيهـا الإمـام الحسـين عليـه السـلام في كربـلاء وقـد شـاهدت ما جرى علـى أخيها وأهـل بيتـه وأصحابـه وشـاركتهم في تقديم

التضحيات وسبيت فيمن سبي مع النساء. ولوفاء هؤلاء فقد حفظ الإمام زين العابدين عليه السلام لهم ذلك، فكان يوليهم عناية خاصّة، ففي بعض الروايات أنّه عليه السلام كان يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: «إنّي أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام فأرقّ لهم». (كامل الزيارات:١٠٧)

حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعقيل

رُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: قال عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا رسول الله، إنّك لتحبّ عقيلاً؟ قال: «إي والله إنّي لأحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإنّ وَلَدَه لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون»، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي». (أمالي الصدوق:١٢٩)

مسلم مع عمه أمير المؤمنين عليهما السلام

في الفتوح لابن أعثم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعل على ميمنته في صفّين الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى الميسرة محمّد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبيّ وهاشم بن عتبة المرقال. (وقعة صفين:١٩٣)

قال العلّامة السيّد عبد الرزّاق المقرّم رحمه الله: إنّ رجلاً يراه عمّه أمير المؤمنين عليه السلام جديراً بقيادة الجيش يوم صفّين فيجعله على الميمنة في صفّ ولديه الإمامين السبطين عليهما السلام وابن أخيه عبد الله بن جعفر، ويجده سيّد الشهداء عليه السلام قابلاً لأهليّة الولاية على أعظم حاضرة في العراق (الكوفة) فيحبوه بالنيابة الخاصّة في الدينيّات والمدنيّات، لا بدّ وأن يكون أعظم رجل في العقل والدّين والأخلاق حتّى لا يقع الغمز والطعن فيمن يمثّل موقف الإمامة. (الشهيد محمد بن عقيل: ١٧٥)

الإمام الحسين عليه السلام وسفيره

قال الشيخ المفيد في معرض ذكره لرسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام: وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثمّ كتب مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله وكانا آخر الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين؛ أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: (أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ)؛ وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإنّ كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؛ فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام». (الإرشاد:٢/٣٩)

بهذه الكلمات الصغيرة في حجمها، الكبيرة في معناها، أوضح الإمام الحسين عليه السلام مكانة مسلم عنده، فهو أخوه وابن عمّه وثقته من أهل بيته.

أهمّ مميّزات شخصية مسلم وموقفه عليه السلام

١. الجانب المعنويّ:

جاء في زيارته: «السلام عليك أيها العبد الصالح».

(المزار الكبير:١٧٨)

٢. الطاعة لله ورسوله والأئمّة عليهم السلام

في زيارته أيضاً نقرأ: «المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام». (المزار الكبير: ١٧٧)

٣. الشجاعة وتنفيذ المهمّة مع بقائه وحيداً

وهذه صفة اكتسبها من عمّه أمير المؤمنين عليه السلام الذي روي عنه قوله: (والله لو لقيتهم فرداً وهم ملأ الأرض ما باليت ولا استوحشت وإنّي من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة وإنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر). (الغارات: ١/ ٢١١)

٤. الصبر والثبات والتحمّل حتّى النهاية والشهادة

لقد قاتل مسلم بن عقيل بكل جدارة وبكل قواه فقيل: (وكان من قولته يأخذ الرجل من محزمه ويرمي به فوق البيت). (نفس المهموم:٥٧)

فممن شهد على ذلك حينما أنفذ محمد بن الأشعث لعنه الله إلى ابن مرجانة اللعين يستمده الرجال فبعث إليه: (إنا أرسلناك إلى رجل واحد لتأتينا به فثلم في أصحابك هذه الثلمة فكيف لو أرسلناك إلى غيره).

(الشهيد مسلم بن عقيل للمقرم:٢٠٨)

فأرسل إليه ابن الأشعث: (أيها الأمير أتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقالي الكوفة أو جرمقان من جرامقة الحيرة وإنّما وجهتني إلى سيف من أسياف محمد بن عبد الله، فأمدّه بخمسمائة فارس). (رياض المصائب:٢٦٦)

محبّته وعشقه ومواساته لسيّد الشهداء عليه السلام وهذا ما أشارت إليه الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً لأمير المؤمنين عليه السلام: «وإنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك». (إثبات الهداة بالنص والمعجزات:١/ ٣٠١)

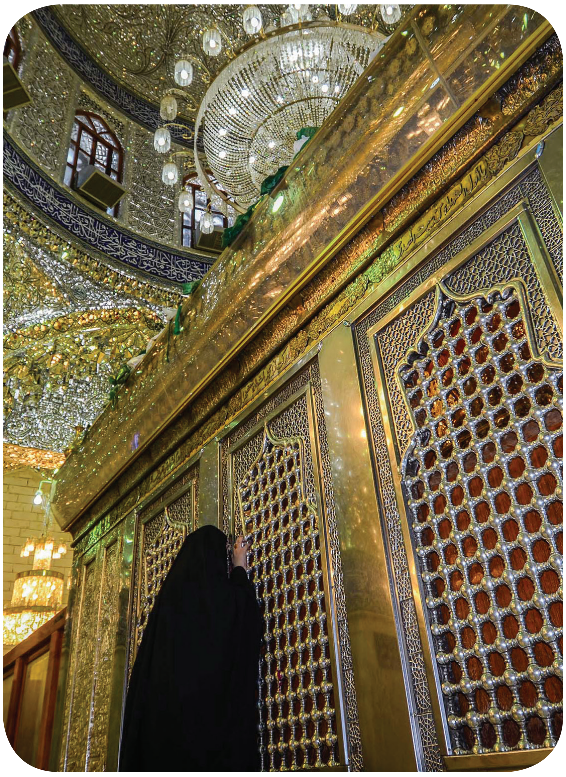

وقد تجسّد هذا العشق والحبّ عندما دمعت عيناه وقد أخذ أسيراً: فقيل له: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب، إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك. فقال عليه السلام: (إنّي والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين). (روضة الواعظين:١/ ١٧٦)

وكذلك مواساته للحسين عليه السلام في القتل عطشاً، وحمل رأسه إلى يزيد في الشام.

وقيل في حقه:

بكتك دماً يا بن عمّ الحسين
مدامع شيعتك السافحه
ولا برِحت هاطلات العيون
تُحيِّيك غاديةً رائحه
لأنّك لم تُروَ من شَربة
ثناياك فيها غدت طائحه

الدكتور شرهان حبيب

قسيم الجنة والنار

حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل.

فهم القمم التي نتطلّع إليها بشوق ولهفة، والمصابيح التي تبدّد دياجير الظلم والاضطهاد.

وهم الذين يجدّدون ثقتنا بأنفسنا وبالحياة وأهدافها البعيدة السّعيدة.

ولولاهم لتولّانا القنوط واليأس.

وشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ليست شخصيّة عادية، يسهل ويمكن الوصول إلى قمّتها، بل هي شخصيّة فوق الشّموخ، وقاب قوسين أو أدنى من الكمال المطلق، علت في سماء العظمة وعلياء المجد.

وكيف لا يكون أمير المؤمنين كذلك وقد اختار الله له أن بدأ حياته في بيت الله سبحانه وتربّى في حجر الرّسالة ونشأ تحت ظلّ النبوة، واتّبع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم «اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً». (نهج البلاغة:٣٠٠)

فأصبح باب مدينة علمه، وسيّد الأوصياء بعده، وإمام الأتقياء، وحبل الله المتين، وصراطه المستقيم.

فهو بحقّ وصي الرسالة وإمام الخلق بعد سيد الأنبياء وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام تحمل في طيّاتها نوراً قيّم الفكر، وحقيقة الحياة فهي سيرة معصومة تكشف عن سلوك القدوة الحسنة بكلّ تجلّياتها، وتربط المرء بالمفاهيم الإسلامية في أصالتها، وتفتح له آفاقاً جديدة في مجالات العلم والعمل والفكر والتّربية، ولذلك أصبح إحياؤها تعظيماً لشعائر الله تعالى ونشراً للقيم الفاضلة التي تسعد الإنسان في الدّنيا والآخرة.

فإنّه قسيم النار والجنّة، وكيف لا يكون كذلك فقد جعله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى، وجاءت هذه المنزلة والدرجة من الله تعالى فنزل جبرئيل بالوحي وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الْجَبَّارُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ عَلِيٌّ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَلاَ نَبِيَّ بَعْدَكَ». (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٧٤)

مع وجود هذه المنزلة في أمير المؤمنين عليه السلام كيف لا يكون قسيم النار والجنة.

فجاء في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾؛ قيل: هو يُرَدُّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾ حَتَّى يَقُولَ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً أَيْ مِنْ شِيعَةِ أَبِي تُرَابٍ، وَمَعْنَى رَبِّهِ أَيْ صَاحِبِهِ يَعْنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَهُوَ يَتَوَلَّى الْعَذَابَ وَالثَّوَابَ وَهُوَ الْحَاكِمُ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْمَآبِ». (بحار الأنوار:٧/١٩٤)

فقد فاز وسعد من والى علياً عليه السلام، وخاب وخسر من عاداه، وهذا دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير فإنّه قال: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاه». (كتاب سليم بن قيس:٢/٦٤٤)

فمن والى علياً عليه السلام فقد والى الله، ومن والى الله فقد فاز في الدنيا والآخرة.

ومن عادى علياً عليه السلام فقد عادى الله، ومن عادى الله فهو الخسران في الدنيا والآخرة، والمخلّد في النار.

الدراسات والبحوث الإسلامية
عن مصادره - بتصرف

أروع ما قيل في نهج البلاغة

كيف هو القول في كتاب نهج البلاغة وقائل ما فيه علي ابن أبي طالب عليه السلام.

الرجل الذي نهج للإنسانية والبلاغة والفصاحة والبيان نهجاً لم تبلغه قبلاً.

ولولا كلام الله عزّ وجل وحديث نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لما فاق قول علي عليه السلام فائق، كيف لا؟

وجنس كلامه ضرب من الأدب، بل هو الأدب كله، لم تثمر أفانين العربية بمثل ما أثمر، له من الشعر أندى وقعه، وله من النثر أزكى روائقه.

وهو في ثنايا هذا الظاهر الأنيق فكر ونظر ونهج للحياة دقيق، لو شاء العالم المتفقه والفيلسوف البصير والمصلح الاجتماعي ورجل السياسة والتاريخ والطبيب والسالك وغيرهم أن يغرف من فيض معارفه لاحتاج مع زمنه أزماناً؛ لينظر في مجال معرفته ولقصّر بعد ذلك.

بلى فأمير المؤمنين علي عليه السلام كان ليكون للأزمان كلها وللأجناس كلها وللأدواء كلها شفاءً وسعادةً وبلسماً، لو كانوا عارفين قدره.

فمن الواضح جدّاً أنّه لم يحظ كتاب في اللغة العربية بالاهتمام والشرح والتحقيق كما حدث لكتاب نهج البلاغة، فقد شاء الله تعالى وكما قيل في كلامه عليه السلام: «إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين»، فتسميته نهج البلاغة ليست معبّره عما في داخله، فكلامه عليه السلام

يمثّل مجمع المعارف الربّانية وميثاق السعادة الإنسانية، وليست الفصاحة والبلاغة فحسب.

قال الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)

فإني كنت في عنفوان السن، [أي: بداية العمر وأوله] وغضاضة الغصن، [أي: طراوة الغصن ولينه] ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم حداني [أي: بعثني] عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات، [أي: ممانعات] الأيام ومماطلات، [أي: مدافعات] الزمان.

وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً وفصّلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، [أي: بحسنه]، ومتعجبين من نواصعه، [أي: خلاصته]، وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب، [أي: المضيئة]، الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا، [أي: اقتفى واتبع] كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة، [أي: أثر وعلامة، وبهاء منه وضياء] من العلم الإلهي وفيه عبقة، [أي: الرائحة اللاصقة به والمنتشرة عنه] من الكلام النبوي فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر واعتمدت به، [أي: قصدت] أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدَثِرة، [أي: الكثيرة] والفضائل الجمة وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر، [أي: ينقل ويحكى] عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد، [أي: المنفرد الذي ليس له مثل] فأما كلامه فهو البحر الذي لا يساجل، [أي: لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء] والجم الذي لا يحافل، [أي: لا يغالب في الكثرة، وقولهم: ضرع حافل: أي ممتلئ كثير اللبن، والمراد من كلامه لا يقابل فكلامه غيره لكثرة فضائله].

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب، [أي: أصول] ثلاثة أولها الخطب والأوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فأجمعت، [أي: عزمت] بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ومفصلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ويقع إلي آجلاً وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدها ملاحمة، [أي أبصار ونظر، والمراد المناسبة والمشابهة] لغرضه وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة، [أي: المنتظمة التي تتلو بعضها بعضاً] ومحاسن كلم غير منتظمة لأني أورد النكت واللمع، [أي: الآثار المميزة للأشياء بإضاءتها وبرقها] ولا أقصد التتالي والنسق، [أي: التتابع والتتالي] ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره

ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع، [يقال قبع القنفذ، كمنع: أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه، أراد منه: الانزواء] في كسر بيت، [أي جانب الخفاء] أو انقطع إلى سفح جبل، [أي: أسفل الجبل وجوانبه] لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه، [أي: جرده من غمده] فيقط الرقاب، [أي: يقطعها عرضاً، فإن كان القطع طولاً قيل: يقد] ويجدل الأبطال، [أي: يلقيهم على الجدالة كسحابة، وهي وجه الأرض] ويعود به ينطف، [أي: يسيل] دماً ويقطر مهجاً، [المهج: جمع مهجة، وهي: دم القلب، والروح] وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال، [الأبدال: قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد بدّل الله مكانه آخر، والواحد بدل أو بديل] وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات، [الأشتات: ما تفرق من الأشياء] وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها وأستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للاختيار وغيرة على عقائل الكلام، [أي: كرائمه، وعقيلة الحي: كريمته] وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتماداً ولا أدعي مع ذلك أني أحيط بأقطار، [أقطار الكلام: أي جوانبه] جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد، [الناد: المنفرد الشاذ] بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل في ربقتي، [الربقة: عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة] دون الخارج من يدي وما علي إلا بذل الجهد وبلاغة الوسع وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل، [نهج السبيل: أي إبانته وإيضاحه] وإرشاد الدليل إن شاء الله.

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها - فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة، [الغلة: العطش، وبلالها: ما تبل به وتروى] وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة وأتنجز التسديد والمعونة وأستعيذه من خطإ الجنان قبل خطإ اللسان و من زلة الكلم قبل زلة القدم، [زلة الكلم: الخطأ في القول، وزلة القدم: خطأ الطريق والانحراف عنه] وهو حسبي ونعم الوكيل.

(نهج البلاغة:المقدمة)

وقال (قدس سره): (إنه لوكان كلام يلحق بغباره، أو يجري في مضماره - بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لكان ذلك كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ إذ كان منفرداً بطريق الفصاحة، لا تزاحمه عليه المناكب، ولا يحلق بعقوه، [أي: بسموه وارتفاعه] فيها الكادح والجاهد؛ ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفناه وسميناه بنهج البلاغة، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوّبناه أبواباً ثلاثة، ليشتمل على هذه الأقسام مميّزة مفصّلة، وقد عظم الانتفاع به، وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها، وجواهر الفِقَر وفرائدها.(حقائق التأويل:٢٨٧)

إعداد: علي لفتة كريم

مكارم الأخلاق

المكارم جمع مكرمة، وهي اسم من الكرم، في مقابل اللؤم، والأخلاق جمع خلق، يكتسبها الإنسان بتوجيه فطرته التي تحمل في طياتها عوامل الهداية والضلال، فلا يولد الإنسان خلوقاً أو فاسداً، وإنما يصل على أحد الاحتمالين بما يتربّى عليه، وما يهذّب به نفسه، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾. (الشمس:٧-١٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث عن بعثته: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ». (مجموعة ورام:٢/٨٩)

وهو الذي برز في علو شأنه صلى الله عليه وآله وسلم ومقامه، بما أدّاه من سلوك مميّز مع الناس، فوصفه القرآن الكريم قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. (القلم:٤)

فإذا راقب الإنسان نفسه، ووجهته، ووضع برنامجاً عملياً لمتابعته، أمكنه سلوك طريق مكارم الأخلاق.

وإذا سلك طريق الطاعة لله تعالى، والتزم بأوامر الله ونواهيه، سار بشكل طبيعي خطوات نحو الكمال.

وإذا وثق بقدرته، وتوكّل على الله تعالى، اجتاز العقبات مهما بلغت، وانهارت أمامه الحواجز ليرتقي في أخلاقه ومعاملته للآخرين.

إنّ الطريق طويل، ويتطلب تصميماً وعزيمة واستمرارية، لكنّه ممكن، ثم يزداد سهولة كلما قطع الإنسان مرحلة بعد أخرى.

فالأخلاق المطلوبة منه، أخلاق بشرية، تملك استعداداتها بفطرته، وتصل إلى معاليها بسعيه.

فلا ينظر إلى رقيّها من بداية الطريق ليقارنها مع ما هو عليه، إلا ليحدد موقعه منها، ثم يشحذ همّته للانطلاق، بحول الله تعالى وقوته، للوصول إلى المراتب العليا، وإلا إذا تلهّى بقياس بُعد ما هو عليه عن كمال الأخلاق، وتحسّر لطول المسافة، فلن يزداد إلّا إحباطاً وبُعداً.

إنّ الإنسان عليه أن يسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في توجيهاته: «حَسِّنُوا أَخْلاقَكُمْ». (التحفة السنية:٤٢)

فهذا لمصلحته في الدنيا؛ إنّ حسن الخلق يجلب النعم على الإنسان في حياته، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ رَأْسُ كُلِّ بِرٍ». (غرر الحكم:٣٤٦)

فبحسن الخلق زيادة في استقرار الإنسان النفسي، وراحته المعنوية، وسلامة سريرته؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لاَ عَيْشَ أَهْنَأُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ». (الكافي:٨/٢٤٤)

بل سيجد الأمور ميسّرة أمامه، والخيرات تتدفق عليه، ويحصل على الأفضل في كل حدث، ويقبل القضاء الإلهي برحابة واطمئنان، فقال الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: «هَوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ». (اللهوف:٦٩)

وعندما تواجه صعوبة ما، فإن المخرج مع حسن الخلق، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لَمْ يَضِقْ شَيْءٌ مَعَ حُسْنِ الْخُلُقِ». (غرر الحكم:٥٦٣)

فالصفح والعفو، وبشاشة الوجه، وتطهير السريرة، وحسن المعاملة، فإنّها تريحك، ويتعلم الآخرون من أخلاقك أو يميتهم غيظهم، لكنك تفوز برأس الإيمان وأعظمه، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «رَأْسُ الإِيمَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالتَّحَلِّي بِالصِّدْقِ».

(عيون الحكم والمواعظ:٤١٤)

شعبة الدراسات والبحوث
عن مصادره - بتصرف

الآخـــــرة ونتـائجها

إنّ المعاد من الأمور المهمّة في حياة الإنسان، خاصة إذا كان الشخص متديّناً، بغض النظر عن نوعها.

فبالنسبة للإسلام والمسلمين هناك قوانين شرّعها الباري عزّ وجل لتسهيل أمور البشر على الأرض ولبيان عواقب الأمور وخواتيمها والنتائج التي من الممكن قد تحصل للإنسان بسبب أعماله في هذه الدنيا.

لقد أرسل الله الأنبياء والرسل وجميع الكتب السماوية توضيح مدى أهمية المعاد والآخرة والحساب، وقد أطالوا البحث فيه من كل جهة.

فالإيمان بالمعاد واجب عقلاً وشرعاً، وهو من الواجبات الضرورية في حياة الإنسان، ليكون هناك نتيجة لما يفعله الشخص باتجاه نفسه أولاً وباتجاه الآخرين أيضاً.

وإلا لأصبح الظلم الدنيا بلا حدود، حيث كل فرد يعمل بما يريد وما تشتهيه نفسه.

فليس هناك حسيب ولا رقيب، فالله تبارك وتعالى بمقتضى العقل كتب على نفسه الرحمة والعفو والمغفرة للمؤمنين الذين قد تزل أقدامهم في هذا الطريق الطويل.

فما من مسلم غير معصوم إلا وقد يذنب ذنبا سواء كان صغيراً أم كبيراً.

فبما أنّ البعض غير معصوم، فقطعاً يقع في الإثم، أو يكون في ذمّته حقوق بينه وبين ربّه، أو بينه وبين الناس.

فالله تبارك وتعالى جعل المعاد، ليظهر الحق من الباطل، وليميّز العامل عن غيره.

فمن أراد أن يكون في الآخرة سعيداً عليه أن ينظر إلى أعماله وأقواله، وعليه أن يستعين بالله في أن يجعل عاقبة أمره خيراً.

محمد رزاق صالح

السفير والسفارة

من جملة ما يمكن طرحه من تساؤلات في إطار قضيّة مسلم عليه السلام هو وجه اختيار الإمام الحسين عليه السلام له من بين أهل بيته، ودون اختياره لوجه من وجوه الشيعة ممّن له وجاهة وسابقة في صحبة أو جهاد.

فيمكن إثبات صلاحيته رضوان الله تعالى عليه للمنصب الذي اختاره لأجله الإمام المعصوم عليه السلام، من خلال نفس عملية الاختيار مع ملاحظة الظرف الذي يُحيط بالحسين عليه السلام وقضيّته.

أولاً

مرّة يكون اختيار الإمام عليه السلام شخصاً لمهمّة لا لغرض تحقيق تلك المهمّة وذلك الهدف، بل لأجل غرض آخر يبغيه من خلال هذا التعيين كما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه عيّن بعض الصحابة لمهمّات، ولقيادة جيوش ثمّ عزلهم قبل التنفيذ أو ظهر فشلهم الفظيع في أداء تلك المهمّات فإنّ الواضح من خلال هذا، أنّ الهدف من التعيين لم يكن لتحقيق ذلك الهدف وإنّما لبيان أنّ هؤلاء لا يصلحون لشيء لقصور قابلياتهم وذاتياتهم عن إمكانية الاعتماد عليهم لشيء.

فقضيّة مسلم لم تكن من هذا القبيل قطعاً، لأنّ الظرف لم يكن ظرف اختبار لكون المرحلة مصيرية في حياة الإسلام والتشيّع والأمّة.

ولأنّه لا أثر لكشف عدم قابلية مسلم القيادية لعدم ترتّب أثر مستقبلي على هذا الكشف، فمن كلّفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ سورة براءة - مثلاً - وأرجعه قبل أدائه المهمّة، اتّضح حقيقة حاله من خلال الأمر بعزله؛ إذ من لم تكن فيه الجدارة لتبليغ آيات، كيف يؤتمن على الإسلام والأمّة ككلّ، بل كفاءة فيه لهذا بالأولوية.

وكان في هذا الإيضاح فائدة، لأنّ هؤلاء المعزولين قادوا العالم الإسلامي فيما بعد ورضي بهم بعض الأمة وتلك الحادثة - حادثة العزل - حجّة عليهم.

ثانياً

مرّة أخرى: يكون التعيين لأجل تحقيق تلك المهمّة وليس من وراء التعيين أيّ هدف امتحاني للأمّة أو للمعيّن، فلابدّ أن يكون الشخص المعيّن جامعاً للصفات التي يمكن تحقيق ذلك الهدف من خلال تعيينه مع توفّر هذه الصفات فيه.

فإن عُيِّنَ لتحقيق هدف اقتصادي فلابدّ أن تكون له خبرة واسعة في هذا الميدان وأن تكون له عقلية اقتصادية بحيث يمكن تحقيق الأهداف السامية للأمة في الحقل الاقتصادي.

وإن عُيِّن في الحقل السياسي فلابدّ أن يكون جديراً بتحمّل هذه المسؤولية وله من الكفاءات في هذا الميدان ما يُرجى تذليل الصعاب به وهكذا إن عُيّن في الجانب العسكري، أو الاجتماعي، أو التربوي.

وخلاصة القول: إنّه لابدّ أن يكون حائزاً - في الأقلّ - على الكفاءات المطلوبة في الميدان المعيّن فيه وإن لم يكن هو أفضل الناس من كلّ جانب، وهذا الرأي يلتزمه السيّد الخوئي رحمه الله في أبحاثه الرجالية حيث يبحث دلالة توكيل الإمام لرجل في مهمّة معيّنة فهل التوكيل دالّ على جلالته ورفعة شأنه، أو وثاقته - في الأقلّ -؟ أم لا تدلّ الوكالة على شيء من

هذا بل غاية ما تدلّ عليه كفاءته في المهمّة المعيّن لها، ولهذا المُلتزم شواهد عديدة، والمختار عنده هو الدلالة على ما لابدّ من توفّره فيه لأجل أدائه المهمّة الملقاة على عاتقه غير أنّ دلالة تنصيب مسلم لهذه المهمّة لها شأن آخر مختلف تماماً عن الحيثيتين المتقدّمتين.(معجم رجال الحديث للخوئي:١/٧٥)

أسباب اختيار مسلم رضوان الله عليه

خصوصيّة قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام وظرفه لا تسمحان أبداً باختيار مبعوثٍ وفقاً لإحدى تينك الحيثيتين، بل لابدّ من توفّر صفات عالية فريدة في المكلّف لهذه المهمّة.

أمّا اختياره من بين بني هاشم، فإنّ جمعاً من هذه العائلة المباركة كانت تعوقه أسبابه الخاصّة عن دخوله في حيّز إمكانية اختياره.

فمن بين شيبة فاقد للبصر كابن عبّاس، أو مريض كمحمّد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر، أو صغير السنّ لا تكاد تنصاع له الأمّة وتلقي بزمامها بين يديه ومنهم من لا يحمل تلك العقيدة الإيمانية المطلوبة للتعامل مع الإمام الحسين عليه السلام كإمام معصوم وخليفة لرسول الله بتنصيب من الله سبحانه فهو واجب الطاعة مطلقاً - والموقف يتطلّب من يحمل بين جوانحه هذا المعتقد بمرتبةٍ عالية - كما أنّ هناك من فيه خصوصية وموكّل بأمور أخرى تقتضي إبقاءه مع الإمام كأبي الفضل العبّاس عليه السلام.

وأمّا اختياره دون الصحابة والوجهاء فإنّ مسلماً من البيت الهاشمي وكلّما كان المندوب من سلالة هذا البيت الطاهر، كان تأثيره في تحقيق الهدف أسرع وأوقع وقد عرفنا كم من ثورة وقعت عبر التاريخ وهزّت عروش الطواغيت من زمن بني أميّة إلى يومنا هذا، كان من أسباب قوّة تأثيرها كون قائدها سيّداً منتسباً للبيت الهاشمي.

والعرب بالخصوص يتفهّمون أمر اختيار المندوب من عائلة المنتدب ويولونه أهمّية أكثر ممّا لو كان المبعوث من غير عائلته ولعلّ الأمر أوسع من دائرة العرب، فإنّ عموم المجتمعات تندفع لاحترام من ينتسب إلى من يقدّسونه ويعظّمونه كما يشمئزون ممّن ينتسب إلى من يعادونه ويبغضونه.

نعم، الأوحدي لا يتأثّر بهذا، بل يأخذ بمقاييس الشرع والعقل في هذا الأمر وسواه - وقليل ما هم -.

هذا كلّه مع عدم ملاحظة الصفات الخاصّة المتوفّرة في شخص مسلم عليه السلام ومع عدم ملاحظة الصفات اللاّزم توفّرها في مبعوث الإمام الحسين عليه السلام لهذه القضيّة وفي هذه الظروف بالذات.

فقد دلّ اختيار الإمام المعصوم عليه السلام لمسلم رضوان الله عليه لأجل تحمّل أعباء السفارة إلى أهل الكوفة في ذلك الظرف العصيب، على ملكات وخصال عظيمة ونادرة توفّرت في هذا الهاشمي الربّاني، وهذا أيضاً ما فهمه الشيخ محمد حسين الأصفهاني وصاغ فهمه في أبيات جليلة تجدها في أرجوزته.(الأنوار القدسية:١٣٦)

وكذا الذي فهمه الشيخ المامقاني وذكره في تنقيحه.(تنقيح المقال:٣/٢١٤)

لم تكن خصال مسلم ومزاياه الفريدة لتبرز واضحة ومعلنة عن رفعة صاحبها وجلالته لولا تلك السفارة الميمونة، على الرغم من كثرة بني هاشم وتوفّرهم بمحضر الإمام عليه السلام وتأهّل جملة منهم لأمثال هذا المقام وللمراتب الرفيعة.

فالسفارة في ذلك الظرف العصيب من عمر الإسلام والأمّة وأهل البيت من أصعب المهام وأعسرها لاسيما إلى ذلك المجتمع الكوفي الذي عانى أمير المؤمنين عليه السلام منه الكثير؛ إذ جاهد عليه السلام لنيل طواعيتهم له، وائتمارهم بأوامره ونواهيه، ولترسيخ مكارم الخصال فيهم ومنها التصبّر على القتال والجلاد.

ولطالما اشتكى أمير المؤمنين عليه السلام تكاسلهم وتقاعسهم وتواكلهم، وهو مَنْ هُوَ في الصبر والحلم وسعة الصدر.

وأدّى التواكل والتمرّد المتواصل لأهل الكوفة على أوامر الإمام الوصي إلى أسوأ النتائج وأفدح الخسائر حتّى قال لهم الإمام عليه السلام: «أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستّين ولكن لا رأي لمن لا يُطاع».(نهج البلاغة:الخطبة٢٧)

وورد فيهم غير هذا كثير، بل اشتهر عنهم الغدر والخذلان

فكم من حركة ثورية اعتمد قائدها على نصرة أهل الكوفة وإسنادهم فبايعوه وأعطوه العهد والميثاق ثمّ غدروا به وخذلوه وفرّوا إلى مأمنهم أو أسندوا عدوّه في مكافحته.

مثل هذه البلدة تحتاج لسفير وقائد ذي خصائص استثنائية، يتمكّن ممّا لا يتمكّن منه غيره بما يمتلكه من سعة صدر وبُعد نظر ومعرفة بطبائع المجتمع ويمتلك العلم والحزم إلى غيرها من الصفات المساعدة له في مثل هذه الحالة.

لقد كشف مسار الأحداث فيما بعد أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد اختار الرجل المناسب لهذه المهمّة الشاقّة العسيرة فقد ظهر منه معتقد عظيم بالإمام وإخلاص ونزاهة وتفانٍ في جنب الله سبحانه وفدائية قليلة النظير.

سيرته في الكوفة تدلّ على ديانة عظيمة تؤكّد على أنّها ممّا لا مثيل لها في تلك الأيام وفي مثل ذلك الظرف مكاناً وزماناً.

ومع أنّ الظاهر من بعض المصادر، أنّ تكليف الإمام له مقتصر على استعلام الموقف الحقيقي للكوفيّين والكتابة إلى الإمام عليه السلام بصورة ذلك الواقع مع أخذ البيعة منهم للإمام، ويعجّل.

غير أنّه لم يتوقّف عند حدود هذا التكليف بل مضى أبعد من هذا بكثير بما أدّى به من تكليف كمؤمن يشعر بالمسؤولية تجاه الأحداث الجسام الجارية في هذا البلد، ويسعى في إبراء ذمته أمام المولى سبحانه وينصح لإمامه جُهْدَه، كما قام بالتصدّي لما يصطلح عليه في زماننا بالأمور الحسبيّة وهي الأمور التي تتطلّب موقفاً محدّداً غير أنه لم يُعلم توجّه التكليف به إلى شخص ما فإنّ مسلماً سعى بكلّ جهده ليكون في مستوى الحدث فهو يدفع بالأمور إلى اتجاه المحافظة على الوضع الذي يهيئ الأجواء للإمام ويُنجح له سعيه، أمّا أنّ بعض سعيه لم تتحقّق به النتائج فهذا شيء لا يعود ملامته عليه فالمرء عليه أداء تكليفه وليس عليه استحصال النتائج الملائمة فإنّ النتيجة تتحقّق تبعاً لتحقّق أجزاء العلّة كلّها والجزء الذي أمره بيد مسلم قد حصل وبقي ما على غيره والآخرون نكلوا وخذلوا.

الواقع أنّه لم يمكن أمامه أن يفعل أكثر ممّا قام به وأنجزه وقد أدّى ما عليه، وليس على المرء أن يوفّق في مسعاه ويحقّق بل عليه السعي النزيه في حدود تكليفه وقدراته، والنجاح إنّما يتنجّز بمطاولة وتحقّق بقيّة الأسباب، ومنها: وفاء أهل الكوفة بوعودهم وصدقتهم فيما عاهدوا الإمام ومسلماً عليه.

ما ظهر من مسلم ضمن دائرة أحداث الطف من سلوك دلّ على ديانة وورع، دلّ على التزام بأحكام الإسلام مهما كانت النتائج ولعلّ من أعظم الشواهد على ذلك توقّفه عن قتل ابن زياد مع شدّة حاجة القضية الحسينية إلى التخلّص من هذا الشخص الذي لا يحوي إهابه غير الخسّة والجريمة والإلحاد.

وقد أضحى مسلم بسلوكه هذا مصداقاً لقول عمّه أمير المؤمنين عليه السلام: «قد يرى الحُوّل القلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين». (نهج البلاغة: الخطبة ١٤)

الإسلام يريد القائد الكفوء للمهمّة التي يُكلَّف بها فضلاً عن ديانته وتقواه وبذا قامت دولة الإسلام المرضيّة.

إنّ الكفاءة والديانة هما متوفّرتان بنسبة عالية جدّاً في مسلم، فضلاً عن صفات أخرى يعزّ اجتماعها في واحد قد اجتمعت في مسلم؛ أمّا النجاح في المهمّة فهو موكول إلى الربّ الجليل.

الشيخ محمد البغدادي

الفساد في المجتمعات

مصطلح الفساد في القرآن الكريم

مصطلح (الفساد) في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف عليه في أذهان عامة الناس، من أنّ كلمة الفساد تعني عدم الالتزام الشرعي، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الأحكام الشرعية، التي تتعلق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء الفرائض وسوء الأخلاق وما شابه ذلك.

إنّ المعنى الذي يعرضه القرآن الكريم لهذا المصطلح، أوسع بكثير مما هو متعارف عليه في أذهان عموم الناس.

الإنسان وظاهرة الفساد

إن الانطباع الأول الذي تبادر عند الملائكة حينما خلق الله آدم، وأخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة، كان استفهاماً استغرابياً عن إنشاء هذا المخلوق الجديد، وذلك قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾. (البقرة:٣٠)

فهل كانت الأرض مكاناً يسوده الاطمئنان والسلام والهدوء، لا فساد فيها ولا خراب، ولا تجاوز ولا تعدّ.

حتى كان هذا المخلوق المكرّم عند الله هو مبدأ الفساد وسفك الدماء؟

حيث عرّفته الملائكة بهذين الأمرين المستهجنين، وكان من الرد الرباني على هذا الاستغراب الملائكي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إشارة إلى سرّ في هذا المخلوق، وحكمة في وجوده على الأرض وطبيعته ومسيرته وتكامله فيها.

ولعلّ في الجواب الإلهي للملائكة إقراراً بهذا

الجانب في الظاهرة الإنسانية، وكأنّ الفساد وسفك الدماء ملازمان لطبيعة الإنسان، بما تملكه من قدرة على الاختيار والإرادة والتجاوز: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. (الإنسان:٣)

وفي هذا المشهد القرآني الذي يقصّ علينا خلق الإنسان، وموقف الملائكة فيه، يمكن أن نثبت عدة قضايا وأفكار وملاحظات نجدها منتشرة في ثنايا آيات الله، بشكل مباشر أو إشارات أو تأكيدات، وبهذا نجد القرآن يفسر بعضه بعضاً، ونجده نسيجاً واحداً يتحدث عن حقائق مترابطة ومتكاملة في منظومة خاصة.

فإنّ الفساد ظاهرة إنسانية؛ تحكمها قوانين الإنسان فرداً ومجتمعاً، وأنّ ما يقابل هذه الظاهرة هو الصلاح والإصلاح، وأنّ حركة التضاد الموجودة بين هاتين الظاهرتين هي من العوامل التي تحكم مسيرة الأمم في الأرض، ومن ثم تحكم مسيرة الإنسان ونهاية الأرض: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. (الأنبياء:١٠٥)

الفساد لغةً

قال ابن منظور: (الفساد نقيض الصلاح وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام... واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصى عليه، والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الإستصلاح). (لسان العرب:٣/٣٣٥)

وعن الراغب: (الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً). (معاني القرآن:٣٧٩)

ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستفادة.

وإذا حللنا ما أورده علماء اللغة يمكن أن نخلص إلى أن الأشياء لها وظائف تؤديها، ومهامّ تقوم بها، وأدوار متوقعة منها، وهذا هو صلاحها، فعند وجود خلل أو نقص في أداء الشيء لهذه الوظيفة أو المهمة أو الدور، يمكن أن نقول عنه إنه فسد، وهذا خلل ناتج من خروج الشيء نفسه عن وضعه المتعارف عليه، فهو خلل أو خروج عن الاعتدال والاستقامة من داخله، أي إن لكل شيء مهمته المناسبة له، ففساد الآية بخرابها، والجسم بمرضه وضعفه، والثمرة بفقدان طعمها، والدولة بنكوصها عن أداء مهماتها، وذلك بعدم انسجام أعضاء مجتمعها، وتنافر مجاميعه، وفقدان الأمن والوحدة الاجتماعية اللذين يحفظان تماسكه.

والفساد أمر مرفوض ومستهجن بالوجدان، وعند العقل العملي بشكل عام، فإنّ النفس لا تميل إليه ولا تسعى له، كما هو حال كثير من القضايا التي يُحسّنها العقل أو يقبّحها، بغض النظر عن مصاديقها، وكذلك الحال في الصلاح الذي هو أمر مرغوب ومقبول وتميل له النفس، ولذا نجد الإنسان يرفض صفة الفساد في الأشياء، وينفر منها ويسعى إلى إصلاحها إن أمكنه.

الاستعمال القرآني للفساد

من خلال تناول القرآن الكريم لهذا المصطلح. إنّ القرآن الكريم لا يستعمل مصطلح الفساد بمعناه الشرعي الخاص فقط، فقد نقله تارة عن لسان العصاة والظالمين في وصفهم لحركة الأنبياء والصالحين، كما في وصف أتباع فرعون لدعوة موسى وحركته الاصلاحية بقولهم: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾. (الأعراف:١٢٧)

أو وصف فرعون لدعوة موسى بقوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾. (غافر:٢٦)

أو قول بلقيس في وصف عمل الملوك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾. (النمل: ٣٤)

وتارة يستعملها معبراً عن رأي السماء والشريعة في وصف الطغاة أو الخارجين عن الشريعة، أو في التحذير من عمل يؤدي إلى الفساد، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾. (القصص:٨٣)، وقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾. (الأنفال:٧٣)، وقوله:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾. (البقرة:٢٠٥)

فيمكن القول: إنّ مصطلح الفساد في القرآن الكريم يصف حالة معيّنة عامة، وينقل تارة عن لسان المتشرعة، وتارة عن عامة الناس، وتارة عن المناوئين للرسالة. وقد يكون لكل مدرسة واتجاه فلسفي أو سياسي تحديد خاص لمضمون هذا المصطلح، وتفسير لهذه الظواهر وتقييم خاص لها، وفهم لطريقة علاجها والتعامل معها، وقد يلاحظ الموضوع بزوايا مختلفة حسب توجه الناظر وتقييمه وفق فهمه ومصلحته.

الفساد في الأرض

هناك شبه تلازم في القرآن الكريم بين مصطلح (الفساد) وبين كلمة (الأرض)، وإذا قمنا بعملية إحصائية بسيطة، فسوف نجد أنّ الكتاب الحكيم استخدم كلمة (الفساد) وتصريفاتها بحدود خمسين مرة، وفي جميع هذه الاستخدامات كان يرد اسم الأرض أو إشارة إليها، ما عدا إحدى عشرة مرة لم يرد فيها ذكر الأرض؛ لأنّ الاستعمال كان في معرض وصف عمل المفسدين وعاقبته: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾. (الأعراف:١٠٣)، أو في معرض الدعاء: ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾. (العنكبوت:٣٠)، أو في معرض بيان إحاطة العلم الإلهي: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾. (يونس:٤٠)

وتكرر هذا المقطع أكثر من مرة، فيكون الاستعمال الأكثر تكراراً؛ وفي مختلف صور استعمال كلمة الفساد جاءت مقترنة بكلمة الأرض، وهو الغالب في الاستخدام القرآني، وجاءت مرة مقترنة بذكر البر والبحر، ومرة أضيفت السماوات إلى الأرض.

وبذلك يمكن القول: إنّ الاستعمال الغالب الذي به يمكن أن يشكل مصطلحاً قرآنياً ذا معنىً خاص ومضمون محدود، يمكن استكشافه من دراسة عموم الآيات وسياقها، التي ورد فيها ذكر الفساد مقترناً بكلمة الأرض، كما ملاحظ هذه المجموعة من الآيات:

﴿ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾ (القصص:٧٧)، ﴿ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ (الكهف:٩٤)، ﴿ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الشعراء:١٨٣)، ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (غافر:٢٦)، ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ (الإسراء:٤)، ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ (الأعراف:٥٦)، ﴿ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾ (يوسف:٧٣)، ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة:٣٣)، ﴿ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ (ص:٢٨)، ﴿ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ (البقرة:٢٥١)

فإنّ ذكر الأرض إشارة إلى عموم وسعة ما يشمله موضوع الفساد، فظاهرة الفساد التي يشير إليها القرآن الكريم ليست ظاهرة فردية أو شخصية، أو محدودة بمجتمع ضيق أو حالة معينة خاصة، بل هي ظاهرة تعم المجتمع الإنساني بغالبيته، فالمواضيع التي يطلق عليها القرآن الكريم مصطلح الفساد، تشمل الظواهر الإنسانية العامة والواسعة التي يصح إطلاق (الفساد في الأرض) عليها.

وقد نجد أنّ القرآن الكريم ينتقد أو يحذّر من بعض الظواهر ويطلق عليها لفظ الفساد، وهي لا تتصف بتلك السعة والشمولية، لكن عمق خطرها وأثرها السيئ يؤدي إلى فساد المجتمع كله، أو الحضارة السائد، بحيث يمكن أن تدخل تحت عنوان الفساد في الأرض.

الفساد والكفر

مما سبق يمكن أن نقول: إنّ موضوع الفساد غير

موضوع الكفر، فالكفر مجاله الظلم والخطأ في المعتقد، والجحود بالله وكفران نعمته، أمّا الفساد فموضوعه عمل الإنسان وفعله ونتاجه وعلاقاته وروابطه.

إنّ مما لا شك فيه أنّ المعتقد سواء كان الإيمان أو الكفر يلقي ظلاله على السلوك والعمل، ومجمل حياة الإنسان وارتباطاته المختلفة، سواء مع الطبيعة أو مع الإنسان، إلاّ أنّ ظاهرة الفساد كما تشير أكثر الآيات القرآنية تتعلق بسلوك الإنسان وتجاوزاته كظاهرة اجتماعية.

الفساد والظلم

يستعمل القرآن الكريم مصطلح (الظلم) في موارد كثيرة واستعمالات متعددة، فمصطلح (الظلم) يشمل في القرآن الكريم ظلم الإنسان نفسه بالكفر والجحود والمعصية، وظلمه أخاه بتعديه على حقوقه، وظلم الحاكم للمجتمع بقهره واستعباده، وظلم مجتمع لمجتمع بالعدوان عليه، وظلم مجتمع أو قوم لنبي بتكذيبه ومحاربة دعوته.

ويبدو أنّ الفساد قد يشترك مع بعض أشكال الظلم الذي يكون موضوعه المجتمع، فيزعزع استقراره وتماسكه وانسجامه ككل.

الفساد والإصلاح

لعلّ ما يقابل مصطلح (الفساد) في القرآن الكريم هو مصطلح (الإصلاح)، وقد اقترن كثير من الآيات التي تذكر الفساد في الأرض بموضوع الإصلاح، حيث ذُكر في أكثر من مورد ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ (هود:١١٦)، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء:١٥٢)

فإلى أي صلاح تشير هذه الآية: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾؟ حيث يفهم أن هناك حالة صلاح، وما يعني من استقرار وسلام وتوازن وعدالة واتساق في الموازين، وأنّ هناك عملية إفساد وخراب لهذا الصلاح والاتساق والتوازن.

قد يكون الإصلاح الذي تشير إليه الآية الكريمة هو الصلاح الطبيعي والفطري والتكويني الذي خلق الله عليه المكنات: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾. (السجدة:٧)، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾. (الأعلى:٢-٣) أي الإشارة إلى واقع الصلاح الذي يعم نظام الخلق والكون.

والاحتمال الآخر هو الإشارة إلى دور الأنبياء في حفظ الاعتدال والاستقامة في المجتمعات الإنسانية، فقد كانوا عليهم السلام سبباً في حفظ الوجود الإنساني وكيانه الاجتماعي واستمرار النظام الكوني.

ويمكن أن تكون الإشارة إلى الأمرين معاً، الصلاح الفطري والتكويني، والإصلاح الإرشادي التبليغي بفعل الرسل والأنبياء والأولياء والمصلحين؛ الذين لولاهم لساخت الأرض بمن فيها.

فوجود الأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام رحمة إلهية لهداية البشر من الضلال ولإصلاح ما أفسده المجتمع والناس، ولذلك للوصول إلى مجتمع إسلامي أصيل بُني على قواعد وأسس صحيحة يسير بالشريعة السماوية الإلهية التي جاءت على يد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتقالاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام حتى وصولاً إلى الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي بظهوره المبارك سيصلح ما فسد من أمور المسلمين.

عبد الله جاسم

صاحب الديـ

قالت: فمن صاحب الدين الحنيف أجب؟ فقلت أحمد خير السادة الرسل

قالت: فمن بعده تصفى الولاء له؟ قلت: الوصي الذي أربى على زحل

قالت: فمن بات من فوق الفراش فدى؟ فقلت: أثبت خلق الله في الوهل

قالت: فمن ذا الذي آخاه عن مقة؟ فقلت: من حاز رد الشمس في الطفل

قالت: فمن زوج الزهراء فاطمة؟ فقلت: أفضل من حاف ومنتعل

قالت: فمن والد السبطين إذ فرعا؟ فقلت: سابق أهل السبق في مهل

قالت: فمن فاز في بدر بمعجزها؟ فقلت: أضرب خلق الله في القلل

قالت: فمن أسد الأحزاب يفرسها؟ فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطل

قالت: فيوم حنين من فرا وبرا؟ فقلت: حاصد أهل الشرك في عجل

قالت: فمن ذا دعي للطير يأكله؟ فقلت: أقرب مرضي ومنتحل

قالت: فمن تلوه يوم الكساء أجب؟ فقلت: أفضل مكسو ومشتمل

قالت: فمن ساد في يوم (الغدير) أبن؟ فقلت: من كان للاسلام خير ولي

قالت: ففي من أتى في هل أتى شرف؟ فقلت: أبذل أهل الأرض للنفل

ـــن الحنيف

قالت: فمن راكع زكى بخاتمه؟ فقلت: أطعنهم مذ كان بالأسل
قالت: فمن ذا قسيم النار يسهمها؟ فقلت: من رأيه أذكى من الشعل
قالت: فمن باهل الطهر النبي به؟ فقلت: تاليه في حل ومرتحل
قالت: فمن شبه هارون لنعرفه؟ فقلت: من لم يحل يوما ولم يزل
قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل؟ فقلت: من سألوه وهو لم يسل
قالت: فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا؟ فقلت: تفسيره في وقعة الجمل
قالت: فمن حارب الأرجاس إذ قسطوا؟ فقلت: صفين تبدي صفحة العمل
قالت: فمن قارع الأنجاس إذ مرقوا؟ فقلت: معناه يوم النهروان جلي
قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غدا؟ فقلت: من بيته في أشرف الحلل
قالت: فمن ذا لواء الحمد يحمله؟ فقلت: من لم يكن في الروع بالوجل
قالت: أكل الذي قد قلت في رجل؟ فقلت: كل الذي قد قلت في رجل
قالت: فمن هو هذا الفرد سمه لنا؟ فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي

صاحب بن عباد الطالقاني

هو ذا مشرق الإمامة

حين يتم النبي صلى الله عليه وآله مناسكه يزمع الإياب إلى المدينة، وها هي الألوف من حوله تشد رحال العودة إلى ديارها، وحين يبلغ هذا الركب الهائل غدير خمّ عن كثب من الجحفة يقف النبي أمام أمر صارم: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾. (المائدة:٦٧)

ترى ما هو ذلك الأمر الذي يكون إباؤه من قبله ناضياً عنه رداء النبوة، وتهاونه فيه قاعداً به عن أداء الرسالة، نائياً به عن مقام المرسلين، فكأنّه مع ما لقي من الأذى لله نبياً فلم يؤذ نبي قط مثلما أوذي ما بلّغ الرسالة، ولا أدّى الأمانة؟ إنّ ما أتاه الساعة شيء لا يساميه في رساته من جليل نعمها ومجلّلات عطاياها إلاّ ما محت به الوثنية الشوهاء، من الوحدانية السامية، ولا يعلو على كعبه إلاّ كعب النبوة، وليس ذلك شططاً من القول، ولا منكراً من الرأي، فأيّ شيء أدّته النبوة إن طويت صفحتها ولما تستكمل بسط الظل الكريم، وبثّ الندى، ونشر الضياء؟ وهي لن تستكمل ذلك في عمرها المحدود، فالحياة متمادية، وأيامها ألوان، وصفحاتها شتى، إن لم يقم فيها على المدى الطويل وحي من السماء يغمرها بالضياء، أو الهام منها يكشف عشاء داجياتها، لخوت روح الإيمان تحت كلاكلها الغليظة، وغاب عن الحياة لصرف قسوتها.

ثم إنّ لها في كلّ يوم فظاعة من ضلالة، وأهاويل من فتن، وحالات فاقرة من مروق، إن لم يقف في وجهها بأس متين وصالتة راسخة لأصابت ما رامت من قمع الحق وخذلانه، وأيّ هذين في غير صنو النبي؟ وأيّهما ليس لديه؟ ألم تربّه السماء على سنائها، وتطعمه من بهائها، وتسقه من كمالها، وتفض عليه من جلالها؟ ألم تفرّد محمّداً به جنيناً لا يحير نداءً، وصبياً نابها، ورجلاً ناهضاً؟ ألم يكن منه كما يكون بعض جسده فيه؟ ألم يلزمه كظلّه لا يفارقه، يكرع في معين العصمة، ويعبّ من نمير التسامي؟ ألم يكن عيبته وكهفه، ووجاءه وحصنه المنيع؟ ألم تبصر فيه الدنيا معين البأس والبسالة، وفيض العزم والإصرار، يحار لأمرها فيه فهم اللبيب، ويعجز عن بلوغ مداها غوص بال الأريب؟ فهذه دولة الحق، هل أديل لها من عرامة الضلال إلاّ بسيفه، وهذا علمه إن كاد أن يحجبه مع الرسول فرط العلم عنده، ألم يكن لمحمد ينبئ عن مقداره ويدل على عظمه أقوال كريمة وكلمات سامية لم تتطاول إلى محوها صروف الخبث، ولم تظفر بسترها عوادي الأضغان؟

الأرض لاهبة تسعّرها الشمس المتوقّدة، والرمل في الجحفة الخاوية كأنّه بساط من جمر مدّ على ثراها، ضرام الأجواف بشح الماء في هذا المكان يحكي ضرام ما

حلّت فيه، فلا قليب يذهب ماؤه بالغلة، ولا ظلّ بارد يصدّ عن المصطلين عذاب الحريق، لاذ معه بعض الناس إلى لفّ الأقدام بأطراف الثياب، وقد أرعدت الأسماع لصوت الداعي إلى الصلاة الجامعة، فعنت القلوب مع الألم المرير كاظمة، واستسلمت الأفئدة المهتاج طائعة، لترى هذا الأمر العجاب الذي لم تشأ السماء إلاّ أن تعلن عنه في هذه الحال العصيبة تعظيماً وتأكيداً، ولم يغب عن حكمتها أنّ الناس مع النبي في رحلة العودة إن فاتوا هذا المكان فَصَل كلٌّ إلى داره، ومضى إلى قراره، وتفرقت القبائل إلى مضاربها وأحيائها، فعزّ عليها لعظمه وخطره أن يفوتها سمع أحد لا يقرّ فيه، أو قلب لا يعيه، وما كان الحج هذا إلاّ له، وما شاءته إلاّ لأجله، فانقادوا على العجب الكبر طائعين، وأسلسوا الزمام من ولههم وحيرتهم مذعنين.

وعند دوحات ثمّة قد قمّ ما تحتهن نصب له منبر من الرحال فقام محمد خطيباً، وأسمع به منادياً في الناس إلى أمر كان له مشهد القيظ العسير، والجدب الحازب، والظمأ المرير مشهداً لا يغيب عن البال، وهو في حياة من عاشه أعجب ما فيها، يعظم مقامه في النفوس، ويصب له فيها من معين الإكبار والإعظام ما لا يفتل الناس عنه إلاّ فاتل الغي والحماقة، ولا يودي بسلطان إلزامه فيها إلاّ مارد الضلالة والعمى.

الرسول يهمّ أن يتكلم، والناس من حوله كانّ على رؤوسهم الطير، قد عنت وجوههم إليه، وانقطعت أنفاسهم من الحيرة، وخذلهم التجلد والتصبر، فيوشكون أن يهووا من ضعف ورهبة، يتخافتون لا تسمع منهم إلاّ همساً، ويهينمون فلا تسمع لهم صوتاً، عيونهم تسمّرت في وجه النبي إلى جنب علي على الأحداج، السماوات والأرض في سبحات الخشوع، الملائك من حول الروح فوق الساحة التي قام عليها هذا المشهد الكريم في حال أنسٍ مسفر، وحمدٍ دائب، وضراعة قائمة.

ففي فم الوحي آية سامية يريد أن يصد بترتيلها في أوانها. الدين العظيم على راحتيه باسم الثغر، ناضر الوجه، طافح الحبور، يحس في نفسه أنّه يصيب من هذا الموقف ما ق ظلّ يتوكّف طلوعه من فجر اللطف والكرامة، فيتم به بناؤه ويكتمل بهاؤه.

وينطق الرسول ليبير الدهشة التي أقلقت وضن الحاضرين وأوجفت قلوبهم.

يا أيها الناس، يوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وإنّك مسؤولون، فما أنت قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً. قال: أليس تشهدوا لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنته حق، وأنّ ناره حق، وأنّ الموت حق، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القلوب؟ قالوا: نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد؛ قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللهم بلى؛ وارتفع عندها يده آخذاً بيد علي، وقد بان لفرط ارتفاعهما بياض أبطيهما: فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، أيها الناس إنّي فرطكم، وإنكم واردون لي الحوض، وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تضلّوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردى عليّ الحوض.

ولم يتم النبي قوله حتى كان جبرئيل قد نضا عنه برد الانتظار فأفاض في القلب الكريم نداء الله ختاماً لهذا الموقف البهي فختامه مسك: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾. (المائدة:٣)

وها هي خيمة على تضرب له بأمر محمد أزاء خيمته، وها هي الجموع تدخل ارسالاً على ابن أبي طالب بن مأخوذ اقتساراً، ومنقاد طاعة وتسليماً، كلّ يسلّم عليه بالإمرة، ويبدي له الطاعة والولاء؛ ويقف عمر بن الخطاب عنده ليقول له: بخٍ بخٍ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

ولم تر الإمامة دهرها مثل هذا اليوم، وما رأت كال الساعة تعظيماً وتبجيلاً، فإذا الناس أمامها على حال الخضوع والانقياد، وإن خالف المَخَبر في نفر منهم ما يظهرون.

السيد فاضل الموسوي

مناجاة التائبين

معنى التوبة في اللغة

التوبة (عند اللغويين): ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل؛ أو يقول: فعلت لأجل كذا؛ أو فعلت وأسأت وقد أقلعت؛ وهذا الأخير هو التوبة.

وقد استفاد المتشرعة من هذا المعنى فعرّفوا التوبة بأنّها: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة.

و(التوبة) في الحقيقة: مشترك لفظي أو معنوي بين الله وعباده، فإذا ما نسبت للعبد، تتعدى بكلمة (إلى)، وإذا ما نسبت للباري تعالى، فهي تتعدى بكلمة (على). (تفسير الرازي)

والتوّاب: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كلّ وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تراكاً لجميعها، وقد يقال ذلك لله تعالى لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾. (الفرقان:٧١)

أي: التوبة التامة، وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل قال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾. (الرعد:٣٠)

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة:٣٧)

مناجاة التائبين

اشتملت مناجاة التائبين على عدة مطالب يمكن إيجازها بالآتي:

القسم الأول

تناول مراحل المعصية والنتيجة المترتبة عليها فمن مرحلة لبس المذلة إلى مرحلة التجلل بالمسكنة وصولاً إلى موت القلب المؤدي إلى دخول النار.

القسم الثاني

تناول طلب الإحياء للقلب لما أصابه من إماتة كنتيجة طبيعة لاقتراف المعاصي من خلال طلب التوفيق للرجوع عن المعصية إلى الطاعة لله تعالى ناظراً في ذلك إلى أربع صفات لله سبحانه وهي الأمل والبغية والسؤل والمنية.

القسم الثالث

يذكر الأسباب التي حدت به إلى طلب التوبة رغم العلاقة التي شوهتها الذنوب فهو لا يجد غافراً سواه ولا يرى جابراً غيره مشتملاً على الإنابة والاستكانة فلا مكان له يلوذ ويعوذ به إذا طرد أو رد عن باب رحمة الله وقد أظهر أسفه ولهفته على ما جنت يداه.

القسم الرابع

بعد أن هيّأ الأرضية المناسبة لاستجلاب مغفرة الله ورحمته نراه يتجرأ ليسأل بشكل صريح مشفعاً لسؤاله بعدة مطالب:

١. غفران الموبقات.
٢. ستر الفاضحات.
٣. عدم التخلية يوم القيامة من العفو والغفران.
٤. عدم التعرية يوم القيامة من الصفح والستر.
٥. تظليل الرحمة على الذنوب لغرض سترها.
٦. إرسال الرأفة على العيوب لغرض إصلاحها.

ثم يختم تلك المطالب استفهام تقريرية يقود إلى

حتمية رجوع العبد إلى سيده وإنّه لا مجير له من سخطه أحد سواه.

القسم الخامس

يتناول أول شروط التوبة وأهمها وهو الندم والاستغفار ليؤكد من خلال عدة مؤكدات أنه من النادمين والمستغفرين ثم يفوض أمره إلى الله تعالى في عتابه حتى يرضى.

القسم السادس

يوظف ثلاث صفات لله سبحانه ليستعين بها في ذكر ثلاثة مطالب وهي:

١. القدرة لغرض التوبة.

٢. الحلم لغرض العفو.

٣. العلم لغرض الرفق.

القسم السابع

يتحدث فيه عن أهمية التوبة وكونها باباً من أبواب رحمة الله وإنّه سبحانه قد أمرنا بولوج هذا الباب فلا عذر لصاحب الغفلة عن دخوله.

القسم الثامن

يشير فيه إلى أربع محطات ليصل بعدها إلى غايته وهي:

١. استجابة الدعاء.

٢. تحقيق الرجاء.

٣. تقبّل التوبة.

٤. تكفير الخطيئة.

كل ذلك لا بعمل أو فضيلة منا وإنّما هو منّ ورحمة من الله سبحانه على عباده ولابد من اختيار الصفات المناسبة لتحقيق ما يصبو إليه فمن أراد العفو لا يمكن له أن يطلب ذلك من الجبار المنتقم الشديد العقاب بل يكون ذلك ممن عودنا على إجابة المضطر وكشف الضر والبر والكرم غير المتناهي والستر الجميل فيمد يده مستشفعاً بالجود والكرم ومتوسلاً بالجناب والترحم.

التوبة تعبير عن واقعية الإسلام

الإنسان هو المخاطب بالتشريع ونشاطاته المختلفة هي مجال انطباق الأحكام والتشريعات الإسلامية وما جاء الإسلام إلاّ ليطابق بين نشاط الإنسان واتجاهه في الحياة وبين إرادة الخير ومشيئة الرحمة في هذا الوجود لذا فإنّ هذه المطابقة تقتضي منتهى الدقة في تقويم طبيعة الإنسان واستعداداته وإمكاناته.

لقد أخذ الإسلام بنظر الاعتبار الاستعداد الإنساني بما يحمل من نوازع نفسية وقدرة عقلية وجسمية محدودة وبما يعاني من انقسام بين طريقين في الحياة طريق الخير وطريق الشر فالإنسان لا يستطيع أن يتوافق دائماً مع إرادة الله سبحانه ولا يمكنه أن يستقيم على امتداد الخط دونما نكوص أو تعدّ وشذوذ طبيعة ما يحمل من قوى ودوافع ونزعات واستعدادات تقصر به عن أن يكون خليفة الله في الأرض وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ما يترجم هذه الحقيقة حيث يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالسُّنْبُلَةِ يُحَرِّكُهَا الرِّيحُ فَتَقُومُ مَرَّةً وَتَقَعُ أُخْرَى». (جامع الأخبار:١٨٣)

لقد وضع الإسلام حلولاً ناجحة لما يعتري بني البشر أثناء مسيرتهم الحياتية بغية إرجاعهم إلى خط الاستقامة والتطابق مع إرادته سبحانه فكان باب رحمة الله الأكبر (التوبة) التي أعطت طريق الرجعة فرصة ذهبية فكانت خطوة واقعية عملية تكشف للإنسان حقيقة ذاته وطبيعة علاقته ودرجة تطابقه مع إرادة الله سبحانه والتزامه بشريعته.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾. (النور:٢١)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. (يوسف:٥٣)

نعم إنّ رحمة الله التي تظلل هذا الكائن الضعيف ليغمره الحب الإلهي ويشمله العفو الرباني فينهض ليواصل مسيرته التكاملية باتجاه معرفة الله سبحانه بعد أن يستيقظ ضميره ليخرج من تلك الظلمات التي ظل قابعاً فيها إلى عالم النور سابحاً في نهر السعادة الأبدية متخذاً من التوبة قارباً للوصول إلى أهدافه وقد حباه سبحانه بثلاث تحف ثمينة: (حب الله عزّ وجل؛ ودعاء الملائكة للتائبين بالمغفرة؛ وتبديل السيئات حسنات).

فقد ورد عن أهل بيت النبوة عليهم السلام: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا». (مشكاة الأنوار في غرر الأخبار:١٠٩)

لأنّ توبة العبد تعني رجوعه وندمه عن الذنب، والتوبة التي ذكرها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على لسان ولده الإمام الصادق عليه السلام هي التوبة التي لا رجعة فيها للذنب، إنّ الإنسان يتوب ندماً على الذنب الذي اقترفه، ولا يرجع إلى ذلك الذنب أبداً.

ففرح الله تعالى بهذه الكيفية من التوبة

هي كفرح أحد يضيّع شيئاً ويجده.

وعَنْهُ عليه السلام قَالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى التَّائِبِينَ ثَلاثَ خِصَالٍ لَوْ أَعْطَى خَصْلَةً مِنْهَا جَمِيعَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنَجَوْا بِهَا، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ؛ وَقَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، [وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ]: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾». (مشكاة الأنوار في غرر الأخبار:١٠٩)

أولاً

من الأمور الغامضة للإنسان والتي لا يعرفها هي أنّ الله تعالى هل يحبّه أم لا؟ وهل الله تعالى راضٍ عنه أم لا؟

إنّ رضى الله تعالى برضا أهل البيت عليهم السلام، ورضا أهل البيت عليهم السلام برضا الله.

هذه متلازمة مع الآخر، وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونَنِي فِيهِمَا». (صحيفة الإمام الرضا:٥٩)

إنّ حكم العلاقة بين القرآن الكريم وهو كلام الله المجيد وبين أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي التلازم والتلاحم فيما بينهما؛ لأنّ القرآن لا يمكن فهمه ولا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم، ألا وهم أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فالشريعة السماوية التي أنزلها الله تعالى على نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم، وقد فسّر آيات القرآن أهل البيت عليهم السلام بعلمهم اللّدني الذي علّمهم الله تعالى، وأنزله على قلوبهم.

فالله تعالى يرضى برضا أهل البيت عليهم السلام لأنّه أعطاهم كل شيء، فبيدهم الولايتان التكوينية والتشريعية.

وهم عليهم السلام باب رحمة الله وهم خزانة علمه تعالى.

فقد أمرنا أهل البيت عليهم السلام بالتوبة النصوحة، لأنّ في ذلك محبّة الله للعبد، والنتيجة في محبّة الله تعالى هي الخلاص من العذاب الإلهي.

وهناك شروط للتوبة النصوح قد ذكرت في الكتب الروائية يمكن مراجعتها.

ثانياً

إنّ البدء بالتوبة والإدارة الإنسانية في اتخاذ قرار التوبة هي من الأمور الحسنة والجيدة بالنسبة للإنسان.

إذا ابتدأ الإنسان بالخطوة الأولى للتوبة فعليه أن يشكر الله ويحمده أن سهّل له طريق التوبة.

وبالتوكّل على الله تعالى وبعناية أهل البيت عليهم السلام سيتوب إن شاء الله.

فالمبادرة الأولى في التوبة هي من الأمور التي حثّ الله عليها في الآية الثانية وقد حثّ أهل البيت عليهم السلام بذلك أيضاً.

إنّ الله تعالى إذا نظر إلى عبده ورأى أنّه تاب عن ذنبه، أو أنّه يتوب عن ذنبه، سيقيه السيئات حتماً، وكذلك يدفع عنه البلاء والسوء.

ثالثاً

إنّ الخصلة الثالثة هي عدم الشرك، فإنّ الشرك من الموبقات التي لا يغفر الله تعالى، ومصير المشرك إلى النار خالداً فيها.

والشرك أنّ الإنسان يجعل إلهاً آخر مع الله تعالى، أو أن يتّخذ إلهاً غير الله تعالى.

فضلاً عن بعض الموبقات المحرّمة التي أكّد عليها القرآن الكريم بأنّها لا تغتفر، وهي كقتل النفس التي حرّم الله، والزنا.

هذه الموبقات التي ذكرناها كالشرك وقتل النفس المحرمة والزنا قد يغفر الله تعالى من عمل بها إذا تاب، وكذلك إذا عمل صالحاً، فقد يبدّل الله هذه السيئات بالحسنات، وإنّه تعالى غفور رحيم، يمحو السيئات ويخفيها، وإنّه أرأف بالعبد من الأمّ بطفلها.

محمد جليل عباس

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

إنّ يزيد بن عبد الملك حين ولّى عمر بن هبيرة الفزاري العراق، وأضاف إليه خراسان، واستقام أمره هنالك، بعث ابن هبيرة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، وعامر بن شرحبيل الشعبي، ومحمد بن سيرين، وذلك في سنة ثلاث ومائة، فقال هم: إنّ يزيد ابن عبد الملك خليفة الله، استخلفه على عباده، وأخذ ميثاقهم بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون، يكتب إليّ بالأمر من أمره فأنفذه، وأقلده ما تقلّده من ذلك، فما ترون؟

فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية، فقال عمر: ما تقول يا حسن؟ فقال الحسن: يابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله؛ إنّ الله يمنعك من يزيد وإنّ يزيد لا يمنعك من الله؛ وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك؛ يابن هبيرة إنّي أحذّرك أن تعصي الله، فإنّما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وحكي في هذا الخبر أنّ ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن، فقال الشعبي: سفسفنا فسفسف لنا.(مروج الذهب:٣/٢٢٤)

إنّ الحكمة من هذا الموضوع هو عدم العبودية لغير الله تعالى، إنّ الله خلق الإنسان وأمره بالعبادة والتعبد، وهو التسليم لأمر الله تعالى؛ كذلك أوضح أنّ نجاة المرء في عمله، إن كان عمله صالحاً فهو من الناجين، وإن كان غير ذلك فهو من الهالكين.

فعن أَحْمَد بْن الْحَسَنِ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةَ، عَنْ سَعْدِ الْخَفَّافِ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَوْحَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: يَا دَاوُدُ تُرِيدُ وَأُرِيدُ، وَلاَ يَكُونُ إِلاَّ مَا أُرِيدُ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ لِمَا أُرِيدُ، أَعْطَيْتُكَ مَا تُرِيدُ؛ وَإِنْ لَمْ تُسْلِمْ لِمَا أُرِيدُ، أَتْعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ؛ ثُمَّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَا أُرِيدُ».(التوحيد للصدوق:٣٣٧)

فالتسليم لإرادة الله تعالى هو الحصول على ما نريد، قال تعالى في حديث قدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء كن، فيكون.(دلائل الصدق لنهج الحق:٥/١٨١)

وعدم ترك دين الله التي هي بمثابة سوء العاقبة، لأن حسن العاقبة هي أن تكون خاتمة حياة الإنسان خيراً وعلى صلاح وفي عبادة الله وولاية أهل البيت عليهم السلام، وفي طلب العلم.

علي محمد علي دخيل

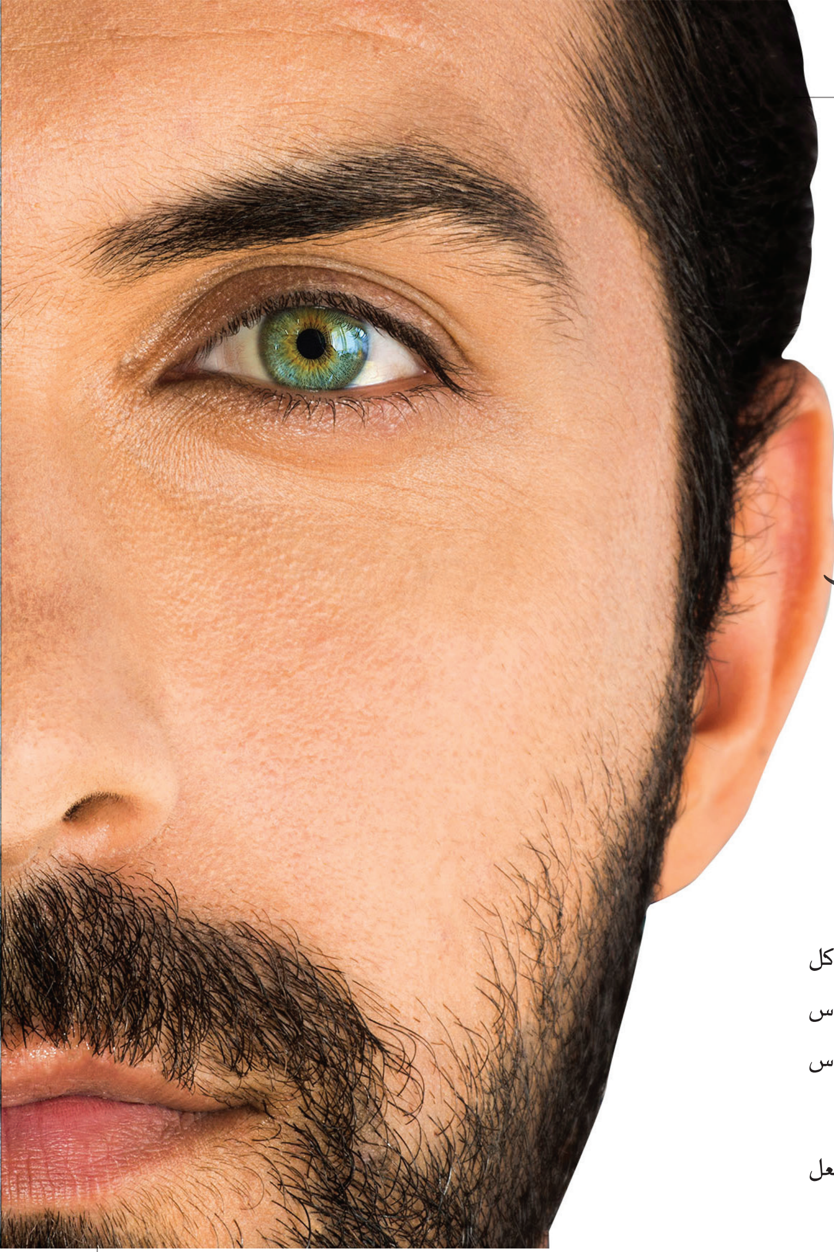

التفكير الإيجابي والسلبي

كان أحد تلاميذ الحكيم زينو دائم الشكوى من كل شيء ومن أي شيء وفي أي وقت حتى ابتعد عنه الناس وأصبح وحيداً فشكا أمره ليزنو وقال له: إنّ الناس يغارون منه ويحقدون عليه.

وهنا طلب الحكيم من الشاب أن يسير معه، وبالفعل سارا معاً حتى وصلا إلى طريق مظلم.

فطلب الحكيم من الشاب أن يسلك هذا الطريق بمفرده وأنّه سيلقاه في الجهة الأخرى، وتعجب الشاب وسأل الحكيم: لماذا أسلك هذا الطريق المظلم وأترك الطرق الأخرى المنيرة كي يساعدني على الوصول إلى المكان الذي أريده؟.

ولم يرد الحكيم على سؤال الشاب بل كرر نفس الجملة السابقة التي قالها من قبل: (سر في هذا الطريق وسألقاك في الجهة الأخرى).

ثم ترك الشاب بمفرده!!

فأخذ الشاب يسير في الطريق وكان فعلاً الطريق مظلماً لا يستطيع أن يرى أي شيء على الإطلاق حتى يديه أو أين يضع قدميه وكان يكلم نفسه ويتساءل: لماذا طلب مني الحكيم أن أسلك هذا الطريق؟ هل هو امتحان أم أن الرجل كبر في السن وأصبح لا يعرف ما يقول؟

وأثناء ما كان يفكر ويكلم نفسه اصطدم بقوة في حائط صدمة قوية جعلته يصرخ من الألم وأيضاً من الغضب.

فابتعد عن هذا المكان واتجه إلى مكان آخر ولكنه لم يعرف أي اتجاه يسلك لكي يخرج من هذا الظلام، ولم يعرف من أين أتى وأصبح في حيرة من أمره ولكنه سار في الاتجاه المعاكس وهو يشعر بالغضب الشديد تجاه الرجل الحكيم وكان يكلم نفسه ويفكر في كل السلبيات الممكنة حتى اصطدم وجهه في حائط آخر فصرخ من الصدمة وبدأ يسب في الرجل الحكيم ويلومه على ما فعله به.

وسلك طريقاً آخر وهو يكلم نفسه سلبياً ويسب الرجل الحكيم ويلومه وأيضاً يلوم نفسه أن سمع كلام هذا المجنون.

في هذه الأثناء وإذا بحفرة وقع فيها وهي حفرة عميقة فصرخ من المفاجأة والألم وبغضب شديد راح يسب

الرجل الحكيم بأسوأ السباب، وحاول أن يخرج من الحفرة ولكنها كانت عميقة فلم يستطع فبكى من وضعه وجلس في مكانه وهو شاعر بضياع وخوف تام حتى أغمي عليه من شدة الصدمة.

وعندما أفاق من الصدمة أخذ يصرخ بأعلى صوته طالباً النجدة ولكن من الذي سيسمعه وهو في هذا المكان المظلم.

ففقد الأمل وظل في مكانه.

بعد فترة من الزمن وجد ضوء شمعة يأتي من بعيد ففرح وصرخ بكل قوته ليطلب النجدة جاء الشخص أمامه وكان الحكيم زينو شخصياً، وساعد الشاب على الخروج من الحفرة واصطحبه إلى خارج الطريق وهناك أوقف الشاب الحكيم وسأله: (أريد أن أعرف لماذا فعلت بي ذلك؟).

ولم يرد الحكيم، فكرر الشاب السؤال وهو غاضب: (لماذا فعلت ذلك معي؟).

فرد الحكيم بسؤال الشاب: (ما الذي تعلمته من تجربتك؟).

فرد الشاب بغضب وقال: (إنه لا يجب عليّ أن أسمع كلام أحد ولا أن أثق بأحد بعد اليوم!!).

فمشى الحكيم ولم يرد، وهنا وقف الشاب أمام الحكيم وقال: (أعرف أن هناك درساً لما حدث وأرجو أن تعذرني لأنني عانيت كثيراً جدّاً في هذا الطريق فأرجو منك أن تعلمني وتنصحني).

وهنا قال الحكيم: (هذا هو ما تعلمته أيها الشاب وهذا هو الدرس، أن أسلوبك الأخير هو السبب الذي جعلني أرد على سؤالك لأنه كان أسلوباً مهذّباً وإيجابياً وله هدف تستفيد منه، اما عن الطريق المظلم الذي طلبت منك أن تسلكه فهو يمثل أفكارك السلبية والحائط الذي اصطدمت به ليس إلا نتيجة أفكارك السلبية، والحفرة التي وقعت فيها كانت هي الأخرى نتيجة من نتائج أفكارك السلبية!!).

ثم اقترب الحكيم من الشاب ونظر في عينيه وقال: (هذا هو التفكير السلبي أيها الشاب، يجعل الإنسان لا يرى الطرق المضيئة بل يجعله يسلك الطرق المظلمة التي لا يجد فيها مخرجاً، ويصطدم بكل ما يؤلمه ويجعله يشعر بالضياع والفشل والألم والغضب وكل شيء سلبي ينجذب إليه من نفس نوع أفكاره، لذلك إذا أردت فعلاً أن تكون حكيماً يجب أن تعرف أنّ في داخلك يعيش ألد أعدائك وهي أفكارك السلبية، عندما تعرف كيف تتحكم فيها ستجدها تعمل لصالحك تماماً مثل الحصان الشارد الذي يستطيع أن يقتلك بخبطة واحدة ولكنك لو عرفته ودربته يصبح صديقاً نافعاً، وتذكر أن أفكارك من صنعك أنت لن يستطيع أي إنسان على وجه الأرض أن يغيرها لك ولكنك أنت الوحيد الذي تستطيع أن تغيرها وتجعلها تخدمك وتساعدك على الاتزان والسعادة).

الدكتور إبراهيم الفقي

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبـــــة الحسينيـــــة المقدســـــة

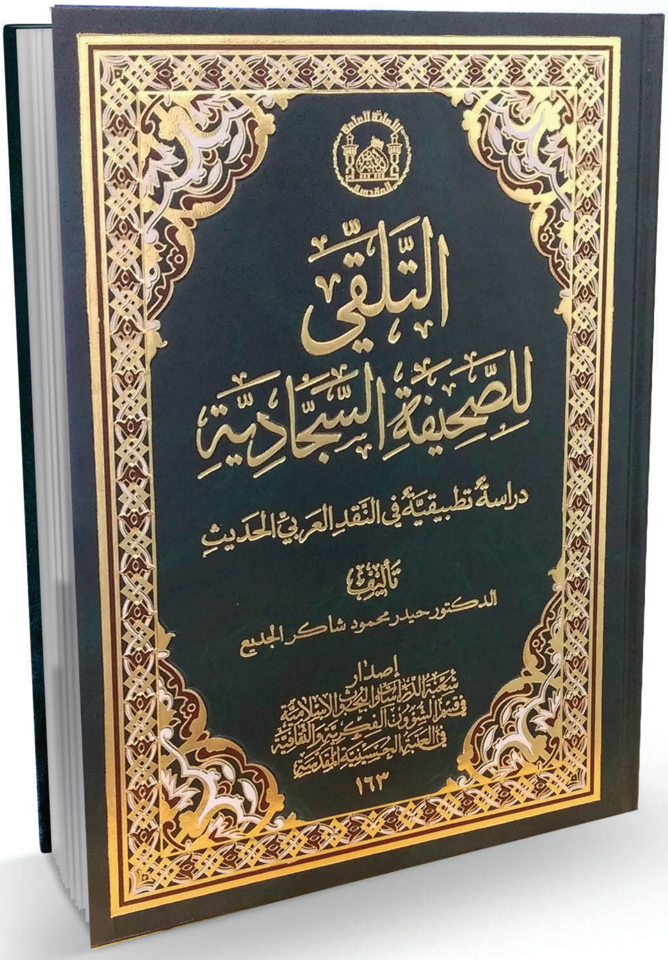

للحصول على النسخة
الرقميـــــة للمجلـــة
امســح هذا الكـــود

■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:
info@imamhussain-lib.org